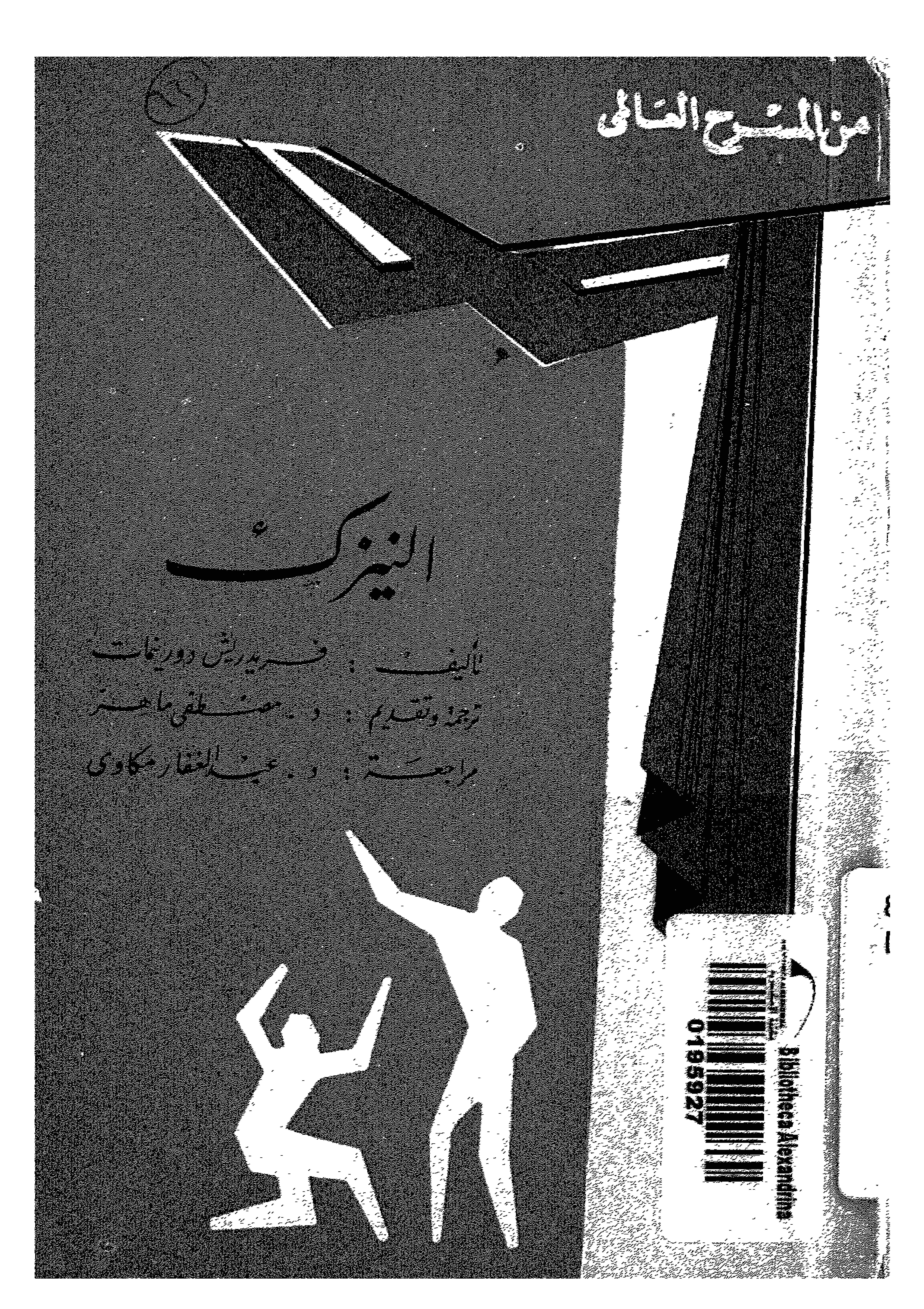
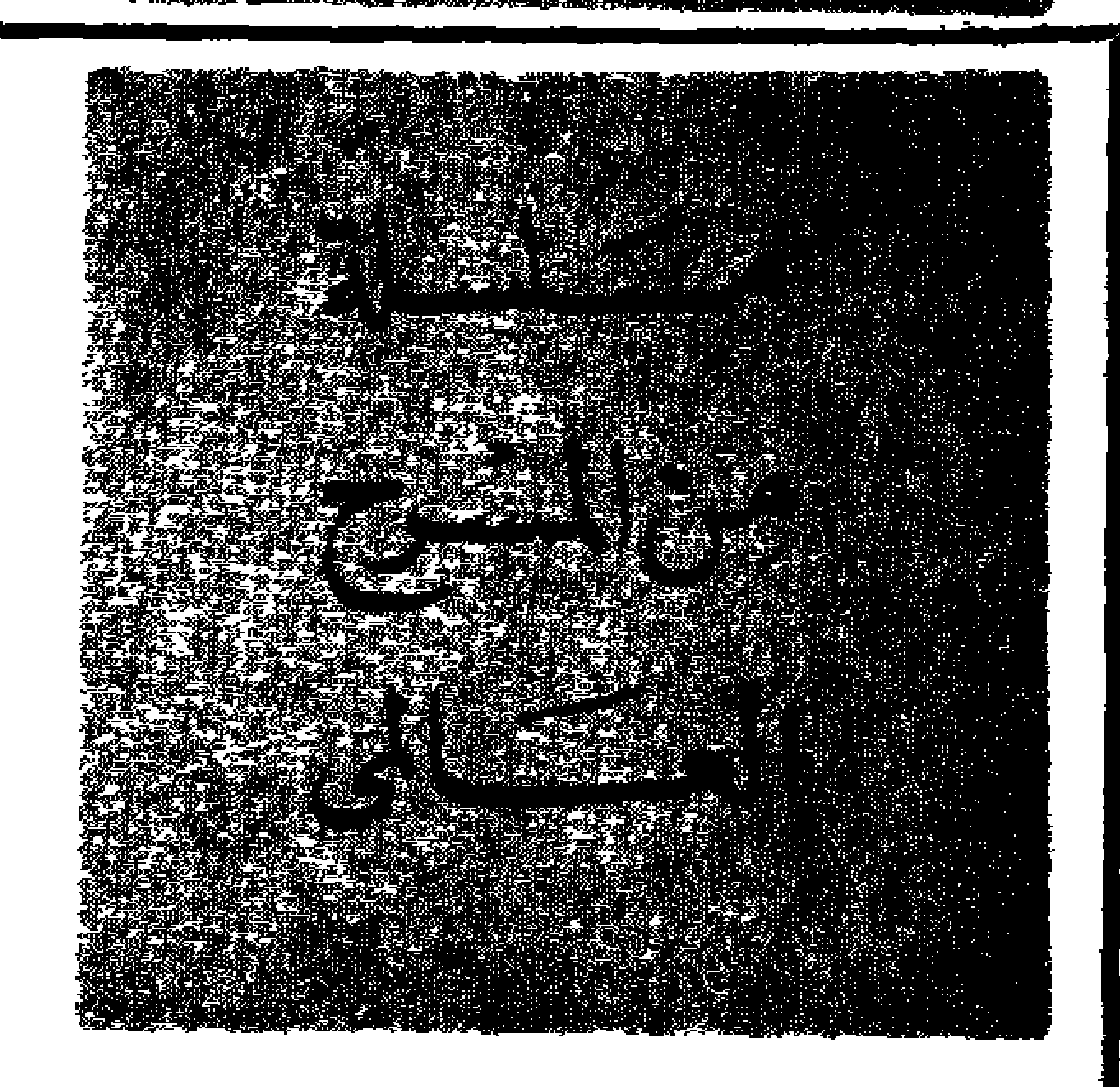

من المسرح العالمي
النيزك
تأليف : فريدريش دورينمات
ترجمة وتقديم : د. مصطفى ماهر
مراجعة : د. عبد الغفار مكاوى
Bibliotheca Alexandrina
0195927



سلسلة يشرف عليها

أحمد مشارى العدوانى
الوكيل المساعد للشئون الفنية

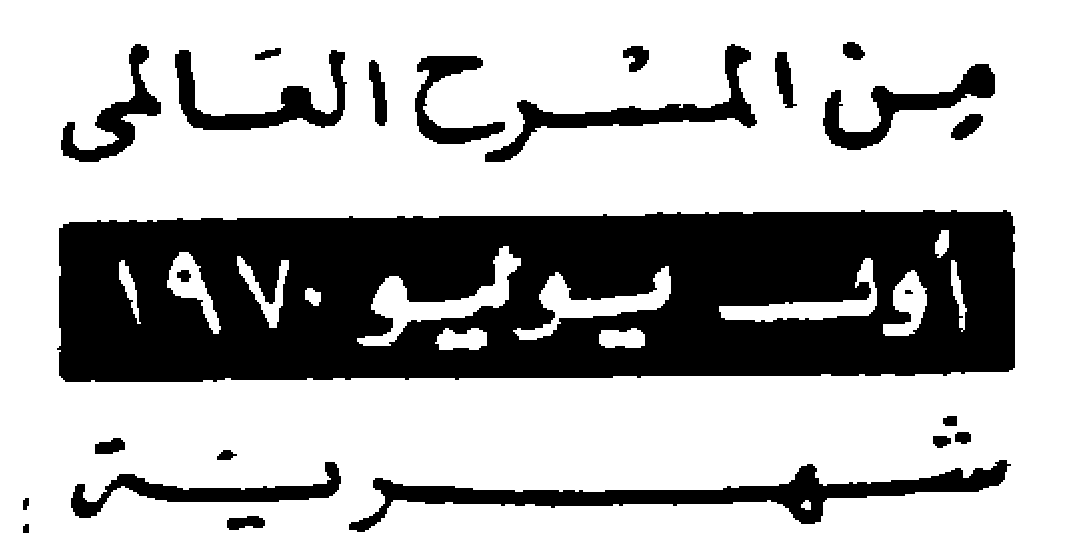
د. محمد اسماعيل الموافى
استاذ مساعد الأدب الانجليزى بجامعة الكويت

زكى طليمات
المشرف الفنى لشئون المسرح

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الارشاد والانباء
صندوق بريد ١٩٣

١٠



النيزك

تأليف: فريدريش دورينمات

ترجمة وتقديم: د. مصطفى ماهر

مراجعة: د. عبد الغفار مكاوي

تصدر عن: وزارة الارشاد والأنباء - الكويت

FRIEDRICH DÜRRENMATT

DER METEOR

EINE KOMÖDIE IN ZWEI AKTEN

IM VERLAG DER ARCHE ZÜRICH

مقـدمة

بقلم دكتور مصطفى ماهر

لم تعد شخصية دوريمات ، الأديب المسرحى الروائى الناقد والمفكر السويسرى العظيم ، غريبة على القارئ العربى ، فقد ظهرت ترجمات متعددة لاغلب مسرحياته ، كذلك اتيح للجمهور المهتم بالمسرح عندنا أكثر من مرة الاطلاع على بعض هذه المسرحيات على خشبة المسرح تارة وعلى شاشة التلفزيون تارة أخرى . وبين هذا وذاك تعرضت الأقلام للكتابة عن دوريمات وفكره وأسلوبه ، فى مقدمات متصلة بالترجمات أحيانا وفى مقالات خاصة أحيانا أخرى . وقد سعدنا بالاسهام فى هذا الميدان فقد منا ترجمة الدرة الخالدة ، زيـارة السيدة العجوز ، التى ظهرت مطبوعة فى سلسلة « روائع المسرح العالمى » ، العـدد ٥٤ ، فى أكتوبر ١٩٦٤ ، وقد منا لها بدراسة تناولنا فيها حياة دوريمات بالوصف الموجـز وفنه وفكره بالدراسة والنقد .

واليوم ونحن نقدم آخر مسرحيات دوريمات أو بعبارة أدق أحدث مسرحياته نحب أن يكون حديثنا عنها مرتبطا بالحديث الذى قد منا به لمسرحية ، زيارة السيدة العجـوز ، فقد التزم دوريمات الحدود التى رسمها لنفسه والتى سعينا فى تلك الدراسة إلى ابرازهـا ولم يخرج عليها ، بل نوع فيها وتنقل بينها بطريقة أخرى ، فأبرز أشياء كان فيما سبق يكتـفى بالاشـارة اليها اشارة عابرة ، وعبر على أخرى عبورا وكان فيما سبق يضعها فى مكان الصدارة . ولكنه بقى هو هو : أديبا لا يعترف إلا بالكوميديا نوعا مسرحيا يعبر عـن حياتنا بعـد أن أصابها التفكك وتسلط عليها الخوف من القنبلة الذريـة ، أديبا مشاكسا يستفز هذه الفئة أو تلك من فئات المجتمع وخاصة رجال الدين ورجال السياسة ورجـال

الفن وأهل الصحافة ، ويسلط لسانه على طبقات المجتمع المختلفة وخاصة الطبقة العليا المرفهة والطبقة البرجوازية وطبقة الذين أثروا بعد طول حرمان ، ويثير الدنيا باشارات يتناول بها رئيس جمهورية فرنسا مرة وأحد الوزراء البلجيكيين مرة وثانية ونهرو مرة ثالثة ، ويهتم بالعلوم الطبيعية ويستلهمها تلميحات ورموزا ومواد يخلط بها أعماله الفنية ، ويجدد فى مسرحه ويتأثر فيه بالتراث الكلاسيكى فى وقت واحد ، ويحاول أن يربط على طريقته بين العصر الحديث وجذوره القديمة فى ثقافة اليونان أو الرومان أو الثقافة المسيحية أو بينها جميعا ، ويتقن التهكم ويجيد النكتة ويدخل فى مسرحه لونين من اهتماماته من خارجه ، الاهتمام بالقصة القصيرة والاهتمام بالرواية البوليسية ، ويستخدم الكثير من خبراته الشخصية فى مسرحه ويبالغ فى هذا الاتجاه حتى يوشك أن « يمسرح » حياته الشخصية فى بعض أعماله ، وفى النيزك خاصة .

ولد فريدريش دورينمات فى ٥ يناير عام ١٩٢١ فى قرية كونولفينجن قرب بيرن بسويسرا لاب من رجال الدين المسيحى على المذهب البروتستانتى ، ويبدو أن العلاقة بين الابن وأبيه لم تكن عادية ، يدل على ذلك هجوم دورينمات الشديد فى مسرحياته ، وخاصة فى زيارة السيدة العجوز وفى النيزك على رجال الدين ، وتناوله اياهم بالتهكم والسخرية اللاذعة . ولما أتم فريدريش دورينمات دراسته الثانوية ، التحق بالجامعة لدراسة الفلسفة والادب واللاهوت ، وهى دراسات أثرت على أعماله الفنية فيما بعد تأثيرا كبيرا من ناحية الشكل والمضمون ، ويهمنا من حياة دورينمات فيما بعد أنه اشتغل بالرسم الى درجة الاحتراف . وقد استعمل هذه الخبرة أكثر من مرة فى أعماله الفنية ، ويكفى أن نشير إلى شخصية الرسام فى زيارة السيدة العجوز وإلى شخصية (شفيتر) وشخصية (نيفنشفاند) فى مسرحية النيزك . وبدأ دورينمات يعالج الأدب المسرحى فى عام ١٩٤٠ ، إلى أن جاء عام ١٩٤٦ فنشر مسرحية مكتوب التى جعلت له مكانا ثابتا على المسرح وتوالت أعماله :

- الأعمى ١٩٤٧

- رومولوس الاكبر ١٩٤٩

زواج السيد مسيسيبي ١٩٥٢

(التي اخرجتها السينما في فيلم بالاسم نفسه) .

ملاك هبط في بابل ١٩٥٣

زيارة السيدة العجوز ١٩٥٦

(التي أخرجتها السينما في فيلم باسم « الزيارة »)

فرنك الخامس ، أوبرا بنك خصوصي ١٩٥٨

(بموسيقى باول بوركهارد)

علماء الطبيعة ١٩٦٢

هرقل واسطبل اوخياس ١٩٦٣

النيزك ١٩٦٦

الثائر على التعميد

وهناك إلى جانب هذه الأعمال المسرحية عدد كبير من القصص القصيرة والتمثيليات الاذاعية والروايات ، خاصة من النوع البوليسي (أهمها : القاضي وجلاده) ، ودراسات أدبية نقدية ومقالات .

وقد استعمل دورينمات في مسرحياته كما أشرنا الكثير من العناصر الشخصية ، فلابأس بأن نحاول رسم صورة له . انه رجل ضخم الجسم ، كبير الرأس ، مكتنز الرقبة ،يلبس نظارة ويضع على رأسه القليل الشعر « كاسكتة » أحيانا وقبعة أحيانا أخرى ، ويلبس صديريا وكرافتة مودرن كالفراشة المتدلية – وفي البيت يرتدي معطفا من الفراء ويدخن الغليون والسيجار ، ويحب الشراب والطعام إلى درجة الشره والتفنن فيه ، حتى مرض

وكان قاب قوسين أو أدنى من الموت ، يتكلم الألمانية باللهجة السويسرية المحلية ويتكلف ذلك تكلفا ، فالمعروف أن الصفوة فى البلاد الناطقة بالألمانية تنصرف عن اللهجات المحلية اللهم إلا مع الأصدقاء فى الجلسات التى يكون فيها تبسط ورفع للكلفة ، ولكن دورينمات يكتب المانية رفيعة لا تختلط إلا بالقليل من الكلمات السويسرية القحة . وقد ربح دورينمات من أعماله الأدبية ثروة ضخمة ، ولم يعد منذ سنين طويلة يعمل فى غير الانتاج الادبى حيث يخرج عملا فنيا واحدا كل عام . واسم دورينمات يتردد أحيانا فى الصحف عندما تجرى الاستعدادات لمنح جائزة نوبل .

موضوع النيزك :

لم ترد كلمة « النيزك » فى المسرحية الكوميدية المرعبة مرة واحدة . ولكن دورينمات استعملها كرمز ، وما أحب هذا الرمز إلى نفسه فهو من ميدان العلوم الطبيعية التى يهتم بقراءتها اهتماما شديدا ويعرف أنها هى التى غيرت صورة العالم وأوصلته إلى الصورة المضحكة التى وصل اليها اليوم ، أوصلته الى عالم « متحلل » — « مفكك » ، الى مجموعة من المعادلات والاحصائيات .

يرتفع الستار عن منظر غريب مثير : مرسم بائس فى الدور العلوى لمبنى بحى فقير ، يعمل فيه الرسام نيفنشفاندر ، ويسكن فيه كذلك مع زوجته أوجوسته التى تقف أمامه موديلا للوحاته ، ومع طفلتيه التوأمين « ارما » و « ريتا » اللتين تلزمان المهد طوال المسرحية ولا تصرخان إلا مرة واحدة ، ولا يستفيد دورينمات من وجودهما إلا فى اضافة لمحة من الفقر إلى المرسم هى اللفف المبللة المعلقة على حبل به ، وفى التأكيد على علاقة الزوجية بين نيفنشفاندر وأوجوسته . كذلك اجتمع بوجود التوأمين على المشهد اتجاهان متضادان ، اتجاه الحياة المبتدئة ، واتجاه الحياة المنتهية التى يمثلها الكاتب الساعى الى الموت « شفيتر » . ويظهر الرسام الشاب نيفنشفاندر يرسم لوحة عارية لاوجوسته التى تلف حول جزء كبير من جسمها ما يشبه الشال أو الملاءة . ويرى الجمهور عددا كبيرا من الصور العارية فى المرسم ، وكلها مرسومة على الطريقة التجريدية . وأوجوسته تجلس على السرير فى اخراج ليوبولد ليتبرج (زيورخ) وهانس شفايكارت (ميونيخ) وتقف على سلم

خشبي فى أخراج هانس ليتساو (هامبورج). وهى على أية حال تدير ظهرها للجمهور وقد تدلى عليه شعرها (زيوريخ – ميونيخ) ، أو انحسر عنه كما فى اخراج ليتساو فى هامبورج وان كنا شخصيا نفضل أن يتدلى عليه ، فذلك أقرب إلى روح المؤلف . وفجأة يندفع إلى الداخل كالصاعقة شخص غريب المنظر هو الأديب فولفجنج شفيتر وهو أديب مشهور حائز على جائزة نوبل ، يرتدى البيجاما وفوقها معطف من الفراء ، ويحمل حقيبتين وشمعتين . أتى هاربا من المستشفى بعد أن أعلن البروفسور شلاتر وفاته ، وأصبح فى نظر الناس من الأموات وكل همه أن يهرب من مشرط الجراح ومن تزاحم الجماهير ، ويموت فى المرسم هادئا . وقد اختار هذا المرسم بالذات ليموت فيه لأنه كان فى ماضى حياتهيعيش فيه ويعالج الرسم ثم فشل كرسام واتجه الى الأدب ووصل إلى الشهرة . وشفيتر يريدأن يموت فى جو معين أولا أنه يريد أن يحرق ثروته كلها ، ويبيد مخطوطاته التى لم تنشر بعد ويقفل عينيه فىالمرسم بعد أن يعيد وضع الأثاث فيه إلى ما كان عليه أيام كان هو صاحبه ، ويقفل الستائر السوداء ويشعل الشمعتين . وشفيتر يظن أنه يستطيع أن يتمدد فى السرير ويريد الموت فيموت . ولكن هذا لا يتحقق له . الدنيا تلاحقه . القسيس يعلم من الممرضة الأولى بالمستشفى أن شفيتر قد صحا من الموت وهرب من المستشفى ولجأ إلى مرسمهالقديم. ويتصور القسيس هذه الحادثة الفريدة على أنها تكرار لمعجزة لعازر الواردة فى انجيليوحنا (الاصحاح ١١) ، ويعلق عليها أهمية كبيرة لأنها تدعم الإيمان فى قلبه ، وتفيده فى اقناع الآخرين واجتذابهم إلى حظيرة الدين . وسرعان ما يصطدم القسيس ويرتد عن مهمته عندما يرى الملايين وهى تحترق فى النار ، ويفكر فى فائدة المال كوسيلة للتبشير ، وهو قد أتى أصلا يلتمس روحانية وايمانا وعبرة من المعجزة التى يراها تحققت فى لعازر الجديد: شفيتر . ويموت القسيس من هول ما جرى أمامه ، يموت بالسكتة القلبية . يموت لأنه اعترض طريق شفيتر ، طريق الموت ، يموت لأنه لم يرض أن يظهر أمام شفيتر على حقيقته ، الحقيقة الأنسانية العارية ، التى لا تعرف اللف والدوران . وتستمر الدنيا ملاحقة شفيتر . فيختلف مع الرسام المسكين هوجو / نيفنشفاندر فى حقيقة هدفه الفنى ، نيفنشفاندر يدعى أنه يسعى إلى هدف سام بعمله الفنى ألا وهو « تصوير الحياة » وشفيتر بعد طول خبرة ، يعرف أن نيفنشفاندر مثله مثل غيره من الناس يسعى إلى ما يسعى اليه الناس كلهم إلى الكسب ، إلى أخذ اموال الناس عن طريق أثارتهم بمناظر العرى ، انه بعبارة

أخرى لايصدق مع نفسه : فهو يبيع لهم زوجته فى صورة لوحات ، ويدعى أنه يرسم الحياة ، ويتدخل شفيتر على نحو فظيع بين هوجو وزوجته ، فيتخذ هذه الزوجة عشيقةله ، ويتحطم بهذا ما كان هوجو نيفنشڤاندر قد بناه على الكذب . وتعود الدنيا إلى ملاحقة شفيتر وهو على وشك الموت . يأتى موهايم العظيم ، المقاول الذى أثرى ثراء عريضا بعد فقر مدقع ، صاحب البيت الذى به المرسم ، فينزل عليه شفيتر كما ينزل النيزك علىالانسان فيهلكه ، إنه يهاجمه باستهتار فتاك ويهاجم فى شخصه البورجوازية ، شفيتر يحطم موهايم الذى حقق ثراء فاحشا باستعمال طرق دنيئة فى كثير من الأحيان ، والذى كان يؤمن بزوجته ويحبها له إيمانا أعمى لا يتسرب اليه الشك . واليوم بعد أن ماتت ومضى على موتها وقت طويل ، يهتم باستفزاز شفيتر اياه ، وتصويره زوجته على أنها كانت فاجرة ، لاتتورع عن ملاحقة الرجال ، بل تدفع لهم المال وتشتريهم به . ويتصارع نيفنشڤاندر الرسام الفقير الموقن من خيانة زوجته له مع شفيتر ، يتصارع وموهايم المقاول الغنى الذى بدأ يصدق شفيتر ويشك فى زوجته التى ماتت وانتهت من سنين ، يتصارعان فى أيهما أحق بقتل انسانهوميت « أو » على وشك الموت»،فيموت الأول على يد الثانى وينتهى الثانى إلى قبضة العدالة ، لقد اوقعهما الحظ فى مسار النيزك ففتك بهما ، ولفظتهما الحياة بمعناها الصادق الذى يحاول شفيتر فى عنف فظيع أن يصوره ، لأنهما لم يفهما هذا المعنى . وتعود الدنيا إلى ملاحقة شفيتر من جديد . فيأتي ابنه يوخن ،الابن الفاسد الذى يعيش فى البارات والحانات بين الغانيات والذى يسمح لنفسه بقسط فاحش من المتعة والرفاهية لأن المصادفة جعلته ابن رجل غنى يمتلك الآلاف بل الملايين . شفيتر لايعترف به هو الآخر ، ويقرر أن يحرق ثروته ليحرمه منها ، يقرر أن يقطع الحبل الذى يصله بالحياة لأنه لم يفهمها ، فينتهى الابن لا إلى الموت العاجل ، بل إلى الضياع ثم الى ما بعد الضياع الفناء . وتأتى أولجه آخر زوجات شفيتر وهى عاهرة كانت تعمل فى حانة من ذلك النوع الذى جهزت موائده بتليفونات يستعملها الزبائن فى الاتصال بالعاهرات ، فأعجب بها وتزوجها ، لأنه رآها تسعى دون مواراة إلى ما يسعى اليه هو أيضا : هو أديب يقدم للناس أعمالا أدبية مثيرة ويحصل منهم على المال ، وهى تقدم للناس الاثارة على طريقتها وتحصل منهم على المال . ولكنها ما لبثت أن ضلت الطريق معه ، وجاشت العاطفة فى قلبها وانحرفت الى المثاليات ، فانتهت إلى الموت منتحرة بالسم . وتعود الدنيا إلى ملاحقة شفيتر من جديد . فى هذه المرة

يأتى الطبيب ، الأستاذ العلامة المشهور باختراعاته الجراحية الرائعة ليتحفظ على جثـــة شڤيتر ،فيجد انسانا حيا ، ويرتبك الطبيب ، فالحالة التى أمامه من الناحية العلمية حالـــة ميت ،ولكن الميت يتكلم ويتحرك وليس هذا مما يمكن أن يأتى به الميت . ويحاول الطبيب أن يجد تفسيرا ويتورط فى كلام مضحك ، ثم يعود الى التفكير فى معالجة شڤيتر وكأن شيئا لم يحدث ، حتى يستأنف الحياة من جديد ،ولكن شڤيتر يرفض لأنه قرر أن يمــوت وينتهي ويعارض الطبيب لان سمعتة تعرضت لمحنـــة عسيرة ولانه اصبح موضعا للتوبيخ واللوم . وهكذالا يتمكن شڤيتر وشلاتر من الاتفاق على شئ ، ويموت الطبيب . ويأتى دور الناشر الذى يمثل دور رجل الأعمال الذى يفكر فى المادة قبل كل شئ . انه يفكر فى محاولة كسب ثروة كبيرة من وراء اثارة الرأى العام بفكرة تأويل مؤلفات شڤيتر الملحد على أساس دينى . أما آخر شخصية هامة تتمثل بها الدنيا لشڤيتر فهى شخصية السيدة الرهيبة « نومزن » تلك هى الشخصية الوحيدة التى يستظر فهاشڤيتر ويسر بها ، انها شخصيـــة المرأة التى انعدمت فيها الاخلاق بالمعنى المألوف لنا ، المرأة التى لا تسعى الا إلى كسب المال فحسب . انها فى الاصل عاهرة تخصصت فى الزبائن الفرنسيين ، وهكذا جاء أولادهـــامن جنس واحد ، وان لم تكن تعرف أسماء آبائهم . لقد دربت أولادها منذ الصغر على الفجور واحترفت العمل فى مراحيض فندق عظيم لتكون على اتصال بالزبائن . وهكذا حققت ثروة عظيمة ، يعنى وصلت إلى هدفها . وقد سر شڤيتر للقائه بها لانه تبين أنها زميلة له ،زميلـــة افضل ، انها تتجر فى لحم البشر مباشرة ، وهو يتجر فيه أيضا بطريق غير مباشر ،طريق الاثارة ، هى وصلت إلى ما وصلت اليه لضربها بالقيم الخلقية عرض الحائط ، وكـــذلك فعل هو الآخر فقد قبل أن تكون واحدة من زوجاته على علاقة بالجزار لتأتى له باللحـــم الجيد ، وقبل أن تكون أخرى على علاقة بمن تشاء لتكون له فى عالم الادب والفن الاسم ، ولام زوجته الاخيرة على تفكيرها فى « الاخلاص » له وانصرافها عن المعجبين الـــذى راحوا يلاحقونها. وفى هذا هجوم شديد ،ونقد لاذع للادباء والفنانين الذين اتخذوا الجنس تجارة ، هجوم ونقد لم نعهد فيما قرأنا أعنف منه . وتنتهى المسرحية بجيش الخلاص الـــذى يحاول مع شڤيتر محاولة اخيرة لكى يعود إلى الدين ، لكى يفكر فى الايمان . ولكن المحاولة تفشل ، ويتساءل شڤيتر فى آخر كلماته مستاء يائسا : متى تكون وفاته ؟ وتنزل الســـتار قبل أن يمـــوت شڤيتر .

« النيزك » صياغة مسرحية لخاطر طرأ لدوريمات :

النيزك عبارة عن « خاطر ممسرح » ! كذلك كانت مسرحية زيارة السيدة العجوز .أما نواة زيارة السيدة العجوز الاولى فهى فرملة الطوارئ التى لفتت نظر دوريمات ذات مرة وهو يسافر من سكنه فى « نيوشاتل » الى « بيرن » بالقطار . كان مكتوبا عليها ما يفيد أن استعمالها فى غير الطوارئ محظور قطعيا وانه يؤدى بالفاعل الجرئ الى عقوبات ليست بالهينة ، وتوقف الأديب ذو الخيال الخصب والناقد صاحب اللسان الساخر اللاذع ،وتساءل فى نفسه عن العقوبة التى يمكن أن تحل بشخص غنى جدا ، مشهور جدا يتوقف فى أتفه مكان ! وبدأ يوسع الفكرة ، ويبتدع سببا لهذا العمل ، فجعل إمرأة غنية تعود بعد غيبةالى وطنها ، تكون هى قد أغتنت بعد فقر ، ويكون وطنها قد أفتقر بعد غنى ، تكون هى قد تحولت من شخص يطيع إلى شخص يطاع ، وأدخل الأخلاق والإنسانية والدين والمبادئ طرفا فى الموضوع ، وتكونت مسرحية زيارة السيدة العجوز ، فى القالب الكوميدى الذى لا يرتضى غيره ، وعلى أساس محور « الجلاد » الحتمى الذى إبتدعه دوريمات بديلا لمحور القدر الفتاك فى التراجيديا الاغريقية ، والذى يصيب شخصا أو مجموعة اشخاص فيهلكهم اهلاكا ، لا مفر لهم منه .

وأما مسرحية النيزك فقد بدأت من ملاحظة فى ميدان المسرح ، اذ لفت نظر دوريمات أن هناك مسرحيات تراجيدية تنتهى بموت البطل ، كأن يشرب السم ، أو يدس سكينا او سيفا فى قلبة ، أو يطلق الرصاص على رأسه ،أو يقع ضحية فاعل اثيم أو منتقم، فيخر على الأرض أو الفراش جثة هامدة ، ثم يسدل الستار ويصفق الجمهور ، فتنفرج الستار وتتحرك الجثة الهامدة ، وتقف على قدميها ، وتحيى الجمهور ! وبدأ دوريمات ينسج حول هذه النواة . وأول شئ خطر بباله ، هو نفسه . فقد كان مريضا يوشك أن يموت ، وكتبت بعض الجرائد عن مرضه المميت موجزة أو مسهبة ، وكان أن جعل هذا الشخص الذى يموت ثم يهرب من سرير المستشفى ليختار المكان الذى يموت فيه « على مزاجه» ،أديبا. وكانت الجرائد الاوروبية تتحدث بافاضة عن الاديب الامريكى الحائز على جائزة نوبل « هيمنجواى » وعن لغز وفاته ، فأخذ عنها فكرة « الاديب الحائز على جائزة نوبل » .

ونعتقد أن دورينات وسع هذه الفكرة باضافة عنصرين آخرين اليها : عنصر البرت شفيتسر وهو من الحائزين على جائزة نوبل ، ومعروف أن كلمة شفيتر وشفيتسر تؤديان نفس المعنى . ويلاحظ فى البرت شفيتسر انه أشتهر بدراساته اللاهوتية ، وباشتغاله بالطب متأخرا وبهجرته الى « لامبرين » بين الأدغال لتبشير « المتأخرين » وعلاجهم ، كذلك معروف عنه أنه صاحب فلسفة تدعو إلى الاقبال على الدنيا واحترام الحياة ومحبة الانسان لاخيه الانسان ، ومعروف عنه اخيرا أنه تعرض أكثر من مرة لمهاجمين قالوا عنه أنه مدع وأن ما يقوم به لا تتوفر فيه النية الخالصة دائما . هذا هو العنصر الاول الذى أعتقد أن دورينات أفاد منه . أما العنصر الثانى فهو ما تعرضت له جائزة نوبل من نقد شديد ، خاصة عندما رفضها أديب فرنسا وفيلسوفها الشهير جان بول سارتر ، والمعروف أن سارتر فى مسرحياته وقصصه يتعرض للجنس بغير تردد ، وله مسرحية باسم العاهرة المحترمة»(1) . فلا أستبعد أن يكون تزويج دورينات لاديبه الحاصل على جائزة نوبل بعاهرة مرتبطا بشئ من أدب سارتر . وواضح من المسرحية أنها تحمل فى طياتها الكثير من لمحات الفلسفة الوجودية وهكذا نمى دورينات النواة الاولى ، وأدخل اليها شخصه هو ثم شخص الطبيب الجراج الذى يعذب مريضه ويمزق جسمه ، وشخصية العاهرة ، ثم أمها ، ومن فكرة العاهرة خرج إلى مشكلة الجنس وخلق لها شخصية الفنان وزوجته ، ومن مشكلة الجنس والتكسب به ، توسع إلى مشكلة الكسب فى حدذاته ، وخاصة فى حالة المقاول الذى يسلك أكثر الطرق دناءة لتحصيل المال ، وحالة الابن التافة الذى يعيش فى الحانات بين العاهرات ويتنقل من فجر الى فجر ، ولذة إلى لذة لان أباه كان غنيا وترك له ثروة ، ومن كل هذه المشاكل خرج إلى القسيس ، شخصية أبيه التى لا تفارقه ، وما أسرع أن تخطر له شخصية القسيس فى هذا المجال الذى ينهض فيه ميت ويعيش ، فتلك من ناحية معجزة ، وتلك من ناحية ثانية ذكرى لعازر الذى أورد أحد أصحاب الاناجيل قصته . ثم من الطبيعى أن يصب دورينات هذه المادة — كما فعل من قبل فى المسرحيات السابقة — فى القالب الاوحد المناسب لعصرنا (نظريته فى المسرح) الكوميديا ، ومن الطبيعى كذلك أن يدير الاحداث حول محور « الجلاد » الذى تحدثنا عنه من قبل .

(1) ترجمت بعنوان المومس الفاضلة

النيزك بين العلم والفن :

استشهدنا من قبل فى مقدمة زيارة السيدة العجوز بعبارة هامة قالها دورينمات عن نفسه هى : انى أقرأ قليلا جدا ، لا أقرأ من الانتاج الحديث غير ما كان متعلقا بالعلوم الطبيعية ، وأعرف الكلاسيكيين طبعا . أما أنه يعرف الكلاسيكيين القدامى فهذا شئ لايفتأ يردده بصيغة أو بأخرى فى أعماله . هنا مثلا تجده يتحدث عن يوليوس قيصر ويقول على لسان شفيتر : « لقد أورث يوليوس قيصر الناس حدائق ، وأنا أورثهم عاهرة » . وأما اهتمامه بالعلوم الطبيعية ،فهو أساس لنظريته الفنية كلها . ان تقدم العلوم الطبيعية الحتمى قد حول الدنيا إلى معادلات واحصائيات ، فكك وحدتها ، حولها إلى المهزلة ، كما حولها إلى القنبلة الذرية . انه تقدم يحمل فى باطنه التأخر ، تقدم يريد الرفاهية للناس ، ويأتيهم فى الوقت نفسه بأدوات الفناء الرهيبة : تلك هى الكوميديا . هذا الاهتمام بالعلوم الطبيعية يظهر فى أعمال دورينمات كلها ، خاصة فى مسرحية علماء الطبيعية ، التى تستمد مادتها منها مباشرة . ولكن دورينمات كثيرا ما يقتبس من العلوم الطبيعية صورا بيانية . فى النيزك يقول شفيتر مثلا : « ما الحياة الا تقبيح وتوسيخ للطبيعة على نحو غير معهود ، واضلال فاجر لعنصر الفحم ، وتضخيم شرير لقشرة الارض ، ما الحياة الا قشرة داء لا يبرأ » حتى الاسم الذى اختاره لهذه المسرحية هو اسم من مصطلحات العلوم الطبيعية أو الفلك : النيزك . والنيزك شئ يقع بالمصادفة ويفتك بالمنحوس الذى يقع عليه . والنيزك فى الفلك هو جرم كونى ينفصل من الفضاء الكونى وينفذ إلى الفضاء المحيط بالارض ويبرق على أرتفاع يقدر بحوالى ١٠٠ كيلو متر ، وكثيرا ما يتحطم إلى قطع تسقط على الكرة الأرضية ومنها النيزك الذى سقط فى ٣٠ /٦ /١٩٠٨ فى سيبريا فأدى إلى تلف فى منطقة قطرها ٤٠ كيلو مترا . وقد نشرت جريدة « الأهرام » فى ٢١ أبريل ١٩٦٦ بعنوان « نيزك يسقط فى نيويورك / فوق سيارة نقل ويصيب السائق . تقول : « سقط اليوم نيزك فى بروكلن على سيارة نقل فأصاب سائقها . ويزن النيزك كيلو جرامين ، وكان ساخنا ومحترقا ، وتبين أن ٩٠ ٪ من مادته حديد و ٨ ٪ نيكل ....الخ » . هذا هو الرمز الذى يسعى اليه دورينمات : ظاهرة علنية تؤكد نظريته عن المصادفة ، المصادفة المهلكة المتمثلة فى شخصية الجلاد التى تنطوى عليها شخصية شفيتر هنا .

يرسم شفيتر صورة الحياة فيقول إنها فظيعة وعمياء وفانية وأنها لا تستحق من الانسان أن يعيشها . شفيتر يريد بعبارة أخرى أن يموت ، لانه لا يرى شيئا له معنى سوى الموت . انه يحمل ارادة الموت فى ذاته ، فترتطم بها حياة القسيس ، والرسام ، والمقاول والزوجة الغانية ، والطبيب فتنتهى . كل شئ فى الحياة مصادفة . شفيتر تسبب فى المصيبة التى حدثت لموهايم وموهايم يناقشه فيها قبل أن تأخذه الشرطة إلى ساحة العدالة :

موهايم : لمــاذا قضيت على !

شفيتر : مصادفـــة !

موهايم (حائرا) : أنا – ولكنى لم أضرك بشئ .

شفيتر : وقعت فى سكة موتى .

كل شئ مصادفة ، والشئ الذى له معنى هو الموت . فما أنسب « النيزك » كرمز لهــذه الفلسفة وكعنوان لمسرحية تقوم عليها .

النيزك والكنيســة :

فى أكثر من مسرحية من مسرحيات دورينمات شخصية رجل الدين ، القسيس ، الذى يتملص منه الشخص الرئيسى فى المسرحية ، أو يتهكم عليه . وأعود فأضرب مثلا بالقسيس فى زيارة السيدة العجوز الذى يظهر فى هيئة مضحكة ويحاول فى مبدأ الأمر أن يوفق بــين عمله ككاهن وبين رغبات الناس المادية من حوله ، ولا يلبث أن يتبين عجزه وينتهى إلى مأزق يخرج منه بالاعتزال والرحيل ويرحل فالأنسان شديد الضعف ، والاغراء شديــد القوة ، هذه الشخصية قريبــة الشبه بشخصية القسيس الجديدة فى النيزك . قسيس النيزك هو أول من يصاب بالدمار وتقضى عليه يد شفيتر ذلك الذى أنقطع الرباط الذى يصلــــه بالحياة ، وتجرد تماما من الرياء والنفاق ، وأصبح خطرا على من لا يعيشون الا على الرياء والنفاق . القسيس أما نويل لوتس فى الاربعين من عمره ولكنه يبدو قريب الشبه بالاطفال

هزيل الجسم ضعيف الصحة ، أشقر ، لطيف ، يأتى إلى شفيتر مسرعا ، وهو يعتقد أن معجزة جديدة من نوع معجزة لعازر تحققت فيه ، فما يلبث أن يجد شفيتر يحرق الملايين ، فينصرف عن المعجزة مؤقتا ويفكر في قيمة هذا المال في تدعيم الدين عن طريق أعانة جمعيات المبشرين أو جمعيات البر والأحسان . انه يجسم من جديدة فكرة : الإنسان شديد الضعف ، والأغراء شديد القوة .ويتحدث القسيس عن المشكلة الرئيسية لديه وهى مشكلة الأيمان : والحق أنه من الصعب على الأنسان أن يدعو الناس إلى انجيل أستشهاد المسيح وقيامه من الموت دون أن يكون لديه وسيلة أخرى للبرهان سوى الايمان . كان الحواريون ، مع أحترامى الكامل لهم ، فى موقف أيسر بكثير ، لان السيد المسيح كان يعيش بينهم ويأتى أمام أعينهم بالمعجزة تلو المعجزة ، كان يرد الأعمى بصيرا والمشلول معافى ويبرئ الابرص ، وكان يسير فوق الماء ويحيى الموتى . فلما بعث أبن الانسان بعد موت ، كان توماس لايزال متشككا مرتابا ، فكان له أن يضع يده على جراحه ليتأكد منها . ولكن زمنا طويلا مضى على ذلك ، ولم يأت ملكوت السماوات الذى وعدنا به قط ، وبقينا نعيش فى الظلمات لانلوذ إلا بما لنا من أمل . كان الأمل هو وحده الذى يغذى أيماننا وما كان أقل هذا . » وشفيتر يقسو عليه ، ويبرز ملاحظة عنيفة هى : « ولا بد أن نعترف بأنك تفعل هذا لان تلك مهنتك » . ويرفض شفيتر فكرة الحياة الباطنية ، ويرد الأشتغال بها أما إلى الأحتراف أو إلى الفراغ . وما على لوتس الا أن يجرب الأشتغال مثلا بكتابة المسرحيات مثله — مسرحية كل عام — حتى يتبين أن ليس لديه من الوقت ما يكفى لكى يكون له روح ، ثم إن الحديث عن الروح وحدها ، فيه تحليل لمكونات الانسان إلى عناصر غريبة عجيبة ، فالجسم ليس عنصرا ، بل هو مركب من مركبات مثل الماء والدهن والأملاح ، وهذه بدورها تتكون من عناصر وهكذا . فما هذا التقسيم ! ونحن نعلم رأى دورينمات فى التقسيم الذى أفتعله الانسان فأدى إلى المهزلة وإلى القنبلة الذرية فى آن واحد . لذلك نرى شفيتر يردد : انى أريد أن أموت مخلصا ، بلا خيال ، وبلا شعر . ولست أريد شيئا الا أن أحس مرة أخرى بالزمن الخالص ، بهذا الانسياب الرقيق ، لست أريد شيئا سوى أن أشعر مرة أخرى بالدقيقة كحقيقة واقعة ، لست أريد شيئا سوى ثانية من الزمان مليئة بالحاضر . » أن شفيتر يجسم على نحو جديد محنة الانسان الفاوستى .

ودرينات يستمد من المؤلفات الدينية ومن الحياة الدينية الكثير . يستلهم قصة لعازر ، ويستفيد من المزمور التسعين ، ومن نشيد معروف من ديوان الاناشيد الدينية ، ويفسح مكانا لجاعة جيش الخلاص ، وينوه بالجمعيات التبشيرية والجمعيات الخيرية ، كل ذلك في اطار الكوميديا بطبيعة الحال . وقد أشرت في ملاحظة هامشية إلى الفقرة الأولى من المزمور التسعين الذى يردده الكهنة المسيحيون في مناسبة الوفاة ، وفيه معان هامة هي أبدية الله ، وغرور الحياة ، والبعث وعودة الانسان الحتمية إلى ربه وخالقه ، كل شئ يزول والله هو الباقي . — ولا شك أنه من الضروري لتعميق فهمنا أفكار دورينات أن نبين قصة لعازر ونوضح النشيد الديني الذى أستعمله في الختام ونعرف ما هو جيش الخلاص . قصة لعازر يشير اليها دورينات في تعليق له على النيزك ، فيقول أن شفيتر في تصوره « هو لعازر عصرنا الحديث » ، نهض من فراش الموت ، ولم يستطع الموت ، بينما مات من تعرضوا له. معجزة لعازر يحكيها « انجيل يوحنا » في الأصحاح الحادى عشر خاصة : « وكان انسان مريضا وهو لعازر من بيت عنيا من قرية مريم ومرثا أختها . وكانت مريم التى كان لعازر أخوها مريضا هي التي دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها . فأرسلت الأختان اليه قائلتين ياسيد هو ذا الذى تحبه مريض . فلما سمع يسوع قال هذا المرض ليس للموت بل لاجل مجد الله ليتمجد ابن الله به . وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر . فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ في الموضع الذى كان فيه يومين . ثم بعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب إلى اليهودية أيضا . قال له التلاميذ يا معلم الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك وتذهب أيضا إلى هناك . أجاب يسوع أليست ساعات النهار أثنتي عشرة . ان كان أحد يمشي في النهار لا يعثر لانه ينظر نور هذا العالم . ولكن ان كان أحد يمشي في الليل يعثر لان النور ليس فيه . قال هذا وبعد ذلك قال لهم لعازر حبيبنا قد نام لكي أذهب لاوقظه . فقال تلاميذه يا سيد ان كان قد نام فهو يشفى . وكان يسوع يقول عن موته . وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم . فقال لهم يسوع حينئذ علانية لعازر مات . وأنا أفرح لا جلكم انى لم أكن هناك لتؤمنوا . ولكن لنذهب اليه . فقال توما الذى يقال له التوأم للتلاميذ رفاقه لنذهب نحن أيضا لكي نموت معه . فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام في القبر (.....) فانزعج يسوع أيضا في نفسه وجاء إلى القبر . وكان مغارة وقد وضع عليه حجر . قال

يسوع أرفعوا هذا الحجر . قالت له مرثا أخت الميت ياسيد قد أنتن لان له أربعة أيام .قال لها يسوع ألم أقل لك ان آمنت ترين مجد الله. فرفعوا الحجر .حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الاب أشكرك لانك سمعت لى . وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى . ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ! ليؤمنوا أنك أرسلتنى . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجا . فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب . فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به ..»

عن هذه القصة أخذ دورينمات الكثير ، ليس فقط من ناحية المضمون ولكن أيضا من ناحية الشكل . أخذ عنصر المعجزة وحوله إلى عنصر النيزك ليصبح عصريا مفهوما لابناء هذه الايام ، وأخذ فكرة الايمان عن طريق المعجزة ، ووضع فى مقابلته العمل الدائب الذى لايدع لصاحبه فرصة للاشتغال بالروحانيات من ناحية ، والأنغماس فى الكسب بأية طريقة من ناحية ثانية . وأخذ مادة الرعب المتمثلة فى جل ميت منتن أمضى فى فجوة القبر فترة من الزمن تجعل عودته إلى الحياة مستبعدة مستحيلة ، فاذا به يتحرك ويخرج وعليه الكفن وأربطة الجثث .

كذلك أستعمل فى نهاية المسرحية حركة حديثة نوعا ما ظهرت فى عالم المسيحية تهدف إلى اجتذاب قلوب الناس إلى الايمان بالمسيحية بوسائل مجددة . هذه الحركة التى يمثلها « جيش الخلاص » . وأول من أنشأ هذا الجيش رجل إنجليزى اسمه ويليام بوث (ولدعام ١٨٢٩ ومات عام ١٩١٢) وكان ذلك فى عام ١٨٧٨ فى مدينة لندن ، على هيئة منظمة جماعية على نظام عسكرى يعرف سلم الرتب المعروفة فى الجيوش ، وعلى رأس هذا الجيش» جنرال جيش الخلاص » وكان ويليام بوث نفسه هو الجنرال إلى أن مات فخلفه ابنهويليام برامويل ثم ابنته أيفا نجليسن كورى ثم الجنرال الحالى البرت أورسبورن . ويقوم ضباط جيش الخلاص الذين يرتدون الملابس العسكرية المميزة بالنشاط الدينى التبشيرى فيعملون فى تكيات توزع الحساء على الجائعين أو يعملون فى ملاجئ ترعى المدمنين على المخدرات أو يعملون فى مدارس نهارية أو ليلية ، ويتمكنون بهذه الوسائل من الوصول إلى تجميع

الجماهير حوالبهم فى ندوات تستعمل فيها طرق شتى لكسب الناس إلى الايمان وكلها تقـوم أساسا على أثارة الحماس . وأهم وسيلة يلجأ اليها جيش الخلاص هى الموسيقى والأناشيـد الدينية . وقد أنتقلت حركة جيش الخلاص من الموطن الاول فى انجلترا إلى بلاد كثـيرة وخاصة إلى الولايات المتحدة ، وسويسرا . . . الخ .

يدخل جيش الخلاص الىشفيتر ويحاول أن يجتذبه إلى الايمان بالطريقة المعهودة طريقة أثارة الحماس فيغنى له نشيدا من الاناشيد الكنسية المعروفة هو النشيد رقم ٢٧٠ من كتـاب الاناشيد الكنسية ، هو من تأليف شاعر قليل الاهمية هو كنور فون روزنروت (ولد عام ١٦٣٦ ومات عام ١٦٨٩) كان يعالج الشعر والموسيقى وعلوم التوارة والكيمياء وعمل لفترة ما وزيرا لبعض النبلاء . والنشيد يتكون من خمسة مقاطع ، أستعمل دورينات منها المقطع الأول والرابع فقط . هذا النشيد نصه :

يا روعـة صباح الابـد
يانور ليس بالمخلـوق
أرسلى الينا فى هذا الصباح
أشعتك حتى نراهـا
وبـددى بقوتـك
ليلنـا .

(٢) وليسقط ندى طيبتـك
على ضميرنا الحـائر ،
واجعـل مرج حياتنا القاحل
ينعم بالسلوان الحلو الصافى ،
واسعدينا ، نحـن اتباعك ،
دائمـا أبدا .

(٣) اجعلى جمر حبك
يقتل أعمالنا البـاردة

وأيقظى فينا القلب والنفس
عند الفجر المبعوث
حتى تنهض بحق
قبل أن تنوى تماما .

(٤) آه يا مشرق الاعالى
مر بنا فى يوم القيامة
أن يبعث جسمنا من الموت صافيا (١)
وأن ينأى عن كل آلام وتعذيب
ويسير فى مسلك للافراح هنا
ناعما منعما .

(٥) أنيرى لنا أنت فى ذلك العالم
يا شمس المنة الصافية .
قودينا عبر حقل الدموع
إلى أرض النعيم الحلو
حيث ترفعنا متعة
لا تنوى أبدا .

الشيطنة :

على أن دورينات وهو يستمد ما يستمد من العناصر المسيحية ويصبها فى قالب الكوميديا لا يهمل وسيلة فنية أخرى يحلو له أن يستخدمها وهى « الشيطنة » و « الاستفزاز » .

---

(١) كتب دورينمات مرة ثانية » بعلا من صافيا « ولا اعلم السبب ولعله السهو . (المترجم)

وهناك فئات معينة يحب دورينمات أن يستفزها . فئة رجال الدين ، ثم رجال السياسة ، وثم رجال الصحافة ثم الطبقة البورجوازية التى جمعت المال ولم تصب ما يقابله من الثقافة ، هنا فى هذه الكوميديا الاخيرة جماعة الاطباء الذين يعذبون المرضى ، وجماعة الفنانسين والادباء الذين يريدون الكسب بأرخص الطرق – طرق الاثارة الجنسية – ويتشدقون بعبارات فلسفية كأنما كانت هى أهداف لهم يسعون اليها .

شفيتر يغلظ للقسيس لوتس وينهره ويسخر منه ويطرده ويظهزه بمظهر المعتوه ،الذى يلقى بنفسه على الناس ، ويتصنع الايمان وهو فى الحقيقة يتكسب مثله مثل غيره شفيتر يلقى لوتس بكلمة : (أخرج) ثم يزيد الجرعة شيئا فشيئا : لست بحاجة إلى آيات الحكمة . . اغرب عن وجهى . . لا أحتاج إلى رجال الدين . ومع ذلك يطلب منــه القسيس أعانــة للمبشرين وللجمعيات الخيرية . ثم يسترسل شفيتر فى تحليل شخصية القسيس لوتس فى اطار الاستفزاز . أنه يتحدث عن الروح لانه خالى البال كثير الوقت ، لا يشتغل بشئ ولو أنه شتغل مثلا بكتابة المسرحيات لانصرف عما يسميه الحياة الباطنية . وأنه يتحدث عن الروح والحياة الباطنية لان تلك مهنته . انها تفرض عليه أن يتصنع الخيال ويصطنع الشعر ، ثم ينتهى شفيتر إلى النتيجة : وهى أن القسيس لا فائدة منه ، انه شخص يستحق الرثــاء ، ويحكى عن قسيس التقى به يوم ماتت زوجته ضيع وقته فى محاولة مواساته وفى الاهـــتمام بالميتة ، بينما هو ، أفاد من الشحنة النفسية للموقف وكتب قصة تقوم على عنصر الموت ، وحقق بها الشهيرة ، ولا يزال شفيتر يحاصر القسيس ويحاصره حتى يقرر هو كذلك انه لا فائدة منه وأنه لا يجد استجابة من الناس : « كذلك أنا لا فائدة منى . ألقى العظة فينــام الحاضرو .

هذا ضرب من الاستفزاز الذى يحلو لدورينمات والذى يستنزل عليه هجوم رجال الدين وسخطهم . أما رجال السياسة فيتناولهم بالاسم أحيانا مثل « نهرو » فى زيارة السيدةالعجوز وبالتلميح القوى أحيانا أخرى . فى النيزك يتهكم على «الوزير البلجيكى» ، ولا بد أنه يعنى وزيرا بعينه ، ولكننا نعترف أننا لا نعرف الوزير الذى يعنيه بالضبط ، كذلك لم نظفر

فيما كتب عن المسرحية من دراسات وصلت الينا بشئ يلقى ضوءا على شخصية هذا الوزير . وأيا ما كان اسمه ، فالتهكم على « وزير بلجيكى » ، من شأنه أن يثير بعض النفوس ، انها عملية أستفزازية بلا ريب .

أما أهل الصحافة فيستفزهم هنا من جديد ، استفزهم استفزازا شديدا فى زيارة السيدة العجوز وأظهرهم بمظهر المتلهفين على الاخبار المثيرة بأى ثمن ، الذين لا يهتمون بالتعمق والبحث فى أصول الأشياء ، ولا يقدرون المواقف التى يوجدون فيها لانها بالنسبة لهم مجالات للحصول على مادة للصحف التى يعدونها بالكلام . فى مطلع الفصل الثانى يرقد شفيتر فى فراش الموت ساكنا وقد غطته تلال من الزهور وأعتبر من الأموات . ويأتى رجال الصحافة « فيلفون ويدورون فى المكان كالشياطين ، ويلتقطون صورا بضوء الفلاش » . والناقد الادبى ، فريدريش جيورجن وهو من رجال الصحافة يسيطر على مصائر الأدباء والناشرين . كلمته التى يلقيها فى تأبين شفيتر تنشر فى صحيفة المساء أى بعد القائها بوقت قليل . وهو فى تأليف كلمته يهتم بالالفاظ المثيرة التى تحدث أثرا قويا عاجلا. يقول عن شفيتر : « كان صاحب مذهب أخلاقى نابع من العدمية . كان ثائرا متمردا فى مكان مجرد من الهواء . كان مسرحه ، لا الواقع ، تهويلا مضحكا » .

ويستفز الادباء والفنانين الذين يهتمون بالجنس أهتماما خاصا ويجعلونه محورا تدور حوله أعمالهم ، ويعللون عملهم هذا بأنهم يصورون الحياة . يستفزهم بأن يقدم مسرحية يعتمد فيها على شئ من الجنس وعلى قدر كبير من الاثارة ، وان كانت الطريقة منفرة مثيرة للنفس ، ثم يهدم الاتجاه من أساسه . مايسمى بالادب الجنسى او الادب المكشوف هو دعارة ، هو منافسة للقوادين والفجرة . بل هو أدنى من ذلك لانه يتسم بالنفاق . فبينما الفاجرات المحترفات يعلن عن أنفسهن ويسمين عملهن باسمه ، ينافق أصحاب الادب المكشوف ويدعون أنهم يصورون الحياة ،والحياة لا تصور . ولست اعرف استفزازا للادباء أعنف من قول الاديب للفاجرة : « ولى ، ياسيلة نومزن ، أن أقول الان بشئ من الفخر : انى لم أكن فيما يختص بالربح والأخلاق أختلف عنك كثيرا » . أو يقول

لها : « لقد كنت تبيعين لها لقاء مال ، كنت تتاجرين تجارة شريفة . أنا أحسدك . فقد أشتغلت بالفجور ، أما أنا فلم أشتغل الا بالادب فقط . » ويفسر كلمة « الشرف » بأنها الحصول على المال ولا شئ أكثر من هذا .

المادة الشخصية في « النيزك » :

تعرضنا فى صدر هذه الدراسة لحياة دورينمات ولشكله ومظهره ومسلكه فى ايجاز ونبهنا الى أنه أستقى من هذا المعين الخاص على نحو لم نعرفه فيه من قبل . شخصية شفيتر فيها الكثير من شخصية دورينمات . فهو الرجل الذى مرض وأوشك على الموت وأوشك الناس على لبس السواد عليه ، ثم خرج من بين يدى الاطباء حيا يرزق ، حيا يكتب وقد جعل دورينمات فى النيزك مكان الصدارة الاديب ، يكتب القصة ويكتب المسرحية ، وينال جائزة نوبل ، ويحقق شهرة كبيرة ومالا كثيرا . كل هذا من حياته هو . بل أن عبارة : أكتب كل عام مسرحية . . الخ التى يقولها شفيتر للقسيس ، عبارة تكاد تكون لافتة ملصقة على انتاج دورينمات نفسه . والمعطف الذى يلبسه شفيتر ، معطف الفراء ، هو المعطف الذى يلبسه دورينمات فى بيته ، وقد لفت دورينمات النظر الى هذا بنفسه فى حديث صحفى عن النيزك قال فيه عن شفيتر : « وهو يلبس معطف فراء مثلى » . كذلك أستعمل أشياء مثل تدخين السيجار (للمقارنة : راجع زيارة السيدة العجوز : كليز تدخن السيجار والأهتمام بالطعام الجيد والشراب المختار ، وهو من الأشياء المعروفة عنه . هذا إلى خلق شخصية الرسام المبتدئ الذى يعيش فى مكان متواضع حياة خشنة ، وجعل شفيتر يتحول من معالجة الرسم فى مطلع حياته الى الكتابة وقد علمنا أن دورينمات كان فى مطلع حياته قد عالج الرسم ، ثم أنصرف عنه الى معالجة الادب .

الكلاسيكية فى النيزك :

منذ أنشأ دورينمات علماء الطبيعة وقال عنها أنها أول مسرحية كلاسيكية له وهو يعمق استخدامه للقالب الكلاسيكى . وأول شئ التزمته المسرحية الكلاسيكية هو ما يسمى بالوحدات الثلاث : وحدة الزمان ووحدة الحدث . أما وحدة الزمان التى يقصد بها ألا

يشغل الحدث على المسرح أكثر مما يشغل فى الواقع وألا يتجاوز ذلك يوما . وقد التزم دوريمات هذه الوحدة فى النيزك التزاما قاسيا حتى ليمكن أن يقال أن ما يجرى على المسرح هو شريحة أقتطعت برمتها من الواقع . أن مشاهد النيزك يقضى فى المسرح ساعتين ، والأحداث تستغرق بطبيعتها ساعتين . والمشاهد لا يحس تكلفا ، بل يجد هذا شيئاطبيعيا . وأما وحدة المكان والتى تعنى أن يدور الحدث فى مكان واحد ، فقد التزمها دوريمات التزاما رائعا . فالحدث يدور فى مكان واحد هو المرسم . وطبيعة الحدث تفرض التزامهذا المكان ، فقد دخل شفيتر المرسم ليموت فيه ،وظل به الى النهاية وهو يحاول أن يموت. والأشخاص الثانوية هى التى تأتى اليه وتتعرض له وتحتك به . والحق أننا إذا حاولنا أن نتخيل أماكن أخرى ندخلها فى المسرحية لما وجدنا فرصة لذلك إذا احتفظنا للحدث بوحدته. ووحدة الحدث قائمة ، ليس هناك تشعب أو خروج عن الموضوع : حدث واحد هو قيام شفير من فراش الموت في المستشفى ومحاولته الموت في المرسم الذى كان يعيش فيه ايام الشباب . كذلك نجد من مقومات الكلاسيكية اقتصاره على عدد قليل من الشخصيات ، واستعماله صورة من التراجيدية – على غرار ما عرفه الاغريق – تتمثل فى عنصر« الجلاد » أو « النيزك » ، أو الانسان الذى يحمل فى طياته سببا للهلاك لا يستطيع الافلات منه .

وليس معنى ذلك أن دوريمات ينشئ مسرحا كلاسيكيا بالمعنى التقليدى . انه بعيد عن ذلك كل البعد . وإنما الذى نقصد الى تأكيده ، هو انه يستبقى من تقاليد المسرح ما يمكن الابقاء عليه ، وانه يعدل ما ينبغى تعديله ، وانه يلغى ما لا يتفق مع فلسفته ، يلغى شخصية البطل . وينشئ شخصية الجلاد ، وفى مقابلها شخصية المطلوب جلده . وبين الشخصيتين علاقات تحكمها حتمية القوانين الطبيعية ، أو المصادفة . ويلغى الانواع المسرحية،ولايقبل الا نوعا واحدا هو الكوميديا .

<u>الرعب :</u>

النيزك مسرحية مرعبة . تبدأ بمنظر مثير ، منظر الموديل التى تعرى جانبا من ظهرها ومن ساقيها ، يجعل الجمهور يعتقد أن مسرحية من النوع المكشوف ستعرض عليه ، وإذا به يفاجأ بميت » بمحتضر « يدخل ويتحكم فى خشبة المسرح ، ويحيل الحياة

فى المرسم المتواضع إلى رعب تتتابع حلقاته . ويظل هذا الميت بمنظره المرعب إلى أن تنتهى المسرحة . ولكن هذا الرعب يمتزج بالكوميديا امتزاجا عجيبا : الميت يدخل ومعه شمعتان يريد أن يحيل بهما جو المرسم إلى جو جنائزى على هواه . ويطلب الميت الموت ، ولكن الموت لا يلبى . وهكذا تنقسم المسرحية إلى محاولات احتضار تتبع الواحدة الأخرى فى إيقاع له مميزاته : فتح الستائر وقفلها — اشعال الشمعتين واطفاؤها — تمدد المحتضر فى السرير وقيامه — تعاقب النور والظلمة — والشكوى المستمرة من حرارة الجو وأحيانا من وهج المدفأة ورماد الملايين) . . . . هذا الرعب له أيضا ألوانه ، أو له لونه : اللون الأسود . الستائر التى تحدد الايقاع سوداء ، تنفرج فتبيض الدنيا وتنسدل فتسود . وبين كل فتح وقفل ، يتحول الفراش إلى نعش أو ما يشبه النعش ، ويتخذ المنظر أبعاده عندما تأتى باقات الزهور وتكون منظر فراش الميت المعروف فى اوروبا . — والحقيقة أن عنصر الرعب ليس جديداً على مسرح دورينمات . فقد سبق أن استخدمه فى أعمال سابقة خاصة فى زيارة السيدة العجوز . فأنشأ شخصية السيدة العجوز الرهيبة التى تتكون من أعضاء صناعية أكثر مما تتكون من دم ولحم ، وأنزل من قطارها فيما أنزل نعشاً تبعه طابور من حملة الزهور ، وجعل أهل القرية يمتصون دم التاجر « إل » كل يوم قطرة قطرة . ولكن استخدام الرعب هنا فى النيزك استخدام أشمل وأكثر جــرأة .

فلسفة وأخــلاق :

لا ريب فى أن دورينمات يتعرض هنا للفلسفة وللاخلاق على نحو مباشر ، ولم نعهده من قبل فى أعماله الاخرى الا كذلك : منشيء مسرحية ذات موضوع أو موضوعات . وأول ما يلفت نظرنا فى هذه الفلسفة التى يعرضها هى مفهومه عن الحياة . يقول على لسان شفيتر : « الحياة فظيعة وعمياء وفانية وتقوم على المصادفة . » وفى موضع آخر يتحدث عن الدنيا التى تتكون من أشياء مضطربة إلى نحو فظيع ، وعلى نحو لا يعرف الانســان معه ما الواقع وأين الواقع. وسلوك الانسان يقوم فى جزء كبير منه على المصادفة أو على حتمية لا قبل له على فهمها . وعلى الانسان أن يكون فى حياته صادقا مع نفسه ، متبع

لسنة الواقع . يوخن ، الابن العاق الذى رتب نفسه على الحياة « حياة شريفة » معتمدا على ثروة أبيه ، يضطر إلى تغيير مجراها لأن المصادفة شاءت أن يشعل أبوه النار فى المال فيأتى عليه من أوله إلى آخره . ويبدو أنه أفاد من هذه الخبرة الاليمة وتوصل إلى أن العالم يحتاج للوقائع الصلبة التى يقف عليها مطمئنا ولا يريد الاساطير والخيالات والأحلام . الناس يريدون واقعا ماديا ملموسا ، لا كلا ما مثيرا . وعلى الاديب أن يفهم هذه الحقيقة ويصنع للناس أدباً واقعيا ، ملتزما لا أدبا يقوم على خيال ووهم . ودورينمات يفسح للخوف مكانا هاما فى حياة الانسان ، ويقارن انسان هذه الأيام بانسان عصور مضت ، فيتبين أن انسان هذه الايام يخاف من أمور تختلف اختلافا بينا عن الامور التى كان السابقون يخافون منها . كان الناس فى عصور خلت يخافون من الآلهة ويخافون من أشياء مثل الذنب والندم والعدالة وما إلى ذلك ، أو يخافون من القدر . أما اليوم فهم يخافون من الحوادث الطارئة التى تحل بهم والتى لا قبل لهم على التنبؤ بها والاحتياط منها . انهم يخافون من حوادث المواصلات ، من سقوط طائرة تحمل قنبلة ذرية ، من تحطم جسر . والنهاية التى يصل اليها دورينمات هى أن الموت « هو الواقع الوحيد ، الموت هو الدائم الوحيد » . ومسرحية النيزك تقدم فى شخصية شفيتر انسانا تخلص من الخوف تخلصا تاما ، انسانا لم يعد الموت يرهبه ، لأنه يريده .

على هدى هذه الخطوط من الفلسفة وما يمكن ترجمته منها إلى أخلاق ، يرسم دورينمات شخصياته ، فمنها من يجرب هذا النمط من السلوك ، ومنها من يجرب ضده ، وهو وراء الانماط المختلفة بتعليقاته . الشخصية الأولى هى شخصية شفيتر نفسه الذى فهم فى مطلع حياته شيئا هاما وهو كيف يصل إلى المال والشهرة . فهم أن ذلك لا يتم الا بالطرق الدنيئة بوسائل المجرمين فالتمسها ووصل إلى الثروة ووصل إلى الشهرة . ولكنه ما لبث أن حبس نفسه فى خيال قوامه العقل والمنطق وترك الواقع وعاش مع شخصيات وأحداث من ابتداعه ، فبعد عن الناس ، وهو الفنان الذى يتجه فنه إلى خدمة الناس أو هكذا يتصور الناس أمره . وفجأة أصابته « المصادفة » الهامة : جاءت الآلام ، وجاءت الحقن وجاء المشرط . جاء التعرف وجاءت المعرفة . ولم يعد هناك مهرب إلى الخيال .

لم يبق الا الواقع ، الا الموت ، الا الرعب . فعاد إلى نقطة البداية ، إلى الواقع الدنىء إلى الحياة بصورتها البدائية ، فى مرسم نيفنشفاندر . والشخصية الثانية هى شخصية نومزن ، المرأة التى بدأت حياتها وانهتها على المستوى الدنىء ، مستوى الواقع البدائى ، ووضعت لنفسها هدفا لم تتخل عنه ، هو كسب المال . لم تحفل بمثاليات ولم تشغل نفسها بمبادئ ، لم تقم وزنا لعقل أو منطق ، ولم تفسح ميدانا للاحاسيس والمشاعر ، بل عاشت للمال ، وفهمت كيف تصل اليه ، وكانت تفرح به . ولسنا نشك فى أن السيدة نومزن هنا بمثابة رمز ، انها فى كفة وشفيتر / نيفنشفاندر / موهايم .. الخ فى كفة أخرى . حقيقة أنها مهنة قذرة ، ولكنها على الارض صريحة ، لا تنافق . تأتى بالزهور وتقول انهـا تأخذهـا من حفار قبور طازجة برائحـة القبر . تعلم اولادها الكسب من الفجور وتعلن عن ذلك . فى الكفة الاخرى جماعة المنافقين ، أو المغتربين ، الـذين يتعلقون بأوهام يعلمون أنها أوهام أو لا يصدقون انها أوهام . شفيتر على رأس المنافقين عن علم وعمد ، وموهايم ، منافق عن جهل ، ونيفنشفاندر وسط بين الاثنين .

دورينمات وتكنيك الكوميديا :

الكوميديا هى البؤرة التى تتجمع فيها أشعة انتاج دورينمات فى الأنواع الاخـرى ، فاذا كان دورينمات ينشىء المقالات والقصص القصيرة والقصص البوليسية ويكتـب الدراسات النقدية ويهتم بالنوع الغنائى ، فالكوميديا التى يصنعها تجمع فى طياتها ، إلى جانب عناصرها الخاصة اوشاجا من هذه الفنون كلها . الناقد جيورجن يلقى خطبة فى النقد الأدبى ، الأديب شفيتر يتلو على مسامع القسيس لوتس ما يشبه الدراسة الفلسـفيـة فى أمور اللاهوت ، والأديب شفيتر يحكى للقسيس أيضا قصة قصيرة ، قصيرة جداً : قصة فصل بمدرسة القرية انهال على مدرسه الشاب المثالى ضربا حتى خر قتيلا ، فـداسه أحد الفلاحين بالجرار حتى يضيع معالم الجريمة ، فى وسط القرية ، أمام مبنى المدرسة . والجميع ينتظر . ومن بينهم الشرطى . « وهذه القصة نفسها نموذج من نماذج القصـة البوليسية ، فاذا أضفنا اليها جريمة موهايم الذي قتل نيفنشفاندر ، وحضور البوليس .. الخ تأكدنا من كلف دورينمات بالرواية البوليسية وعناصرها . أما النوع الغنائى ، الذى نـراه

بوضوح فى خاتمة (زيارة السيدة العجوز فيكتفى دورينمات فى النيزك بلمسة منه تتمثل فى مقطعى النشيد الكنسى الذى تغنيه جوقة جيش الخلاص .

ان اطار المسرحية يتكون كما ذكرنا ، من جو من الرعب يتقلب بين زيادة ونقصان . وتسير الاحداث بين حركات ايقاعية كبيرة تتمثل فى اضاءة المسرح اضاءة شـديدة ، ثم اظلامه الا من ضوء الشمعتين ، وهى عملية متكررة ، وتكرارها أساسى فى اخـراج المسرحية ، وتتمثل هذه الحركات الايقاعية الكبيرة فى أمرين آخرين ، أولهما استخدام السرير والكرسى الوثير وثانيهما تحريك اللوحـات مرة الى وجهها ومرة الى ظهرهـا هذان الامران الاخيران يتكرران أيضاً فى حركة ايقاعية ، تمسك العمل المسرحى وتحبكه ، وتكسر من حدة الرعب . والمهم ألا يزيد الرعب عن قدر معين ، والا تحولت الكوميديا إلى تراجيديا .

والكوميديا فى مفهوم دورينمات الاستطيقى تتحرك بين قطبين قطب الانسجام وقطب اللاانسجام . يقدم دورينمات على المسرح شخصيات سوية ، مثل أوجوسته الجميلـة ، وأولجا الجميلة ، ولكنه يقدم كذلك شخصيات قبيحة ، شخصية نومزن مثلا التى تتميـز بالضخامة والعلة والحركة الشاذة ، ولكن الشخصيات الجميلة تختلط بعنصر قبيح ، أوجوسته ، جميلة الجسم والشعر والوجه ، ولكنها كالآلة ، ودورينمات يبرز هـذه السمة الآلية فى أوجوسته ، فى طريقتها فى الرد على شفيتر : نعم ياسيد شفيتر – نعـم ياسيد شفيتر – نعم ياسيد شفيتر .... وأولجا جميلة ، ولكن جمالها ينحط لامـتزاجه بالفجـور .

وشخصية شفيتر نموذج آخـر للجمع بين الانسجام واللاانسجام . انه رجـل ظريف ومقزز فى وقت واحد ، أديب يعيش ويموت فى وقت واحد ، جميل وقبيح معـاً واهم انطباع يحدثه فيمن يحتك به أنه « عصبى » . عندما تدب الحياة فى أوصاله « يشخط وينظر » ، حتى يتساءل الانسان ، هل هذا انسان يحتضر ! ، ثم مايلبث أن يتمدد فى السرير ويتخشب وقد ظهر شفيتر فى الاخراج الاول بزيوريخ ، بشعر أبيض كثيف ولحية بيضاء . وقـد لبس قميص الكفن ، وفى يديه قفاز أبيض ، وعلى رأسه رباط الجثث .

ويتوسل دورينمات الى الاضحاك بوسائل عديدة . أولا بأشكال الممثلين وخاصة : القسيس والطبيب والسيدة نومزن . وثانيا بالحركات .من الحركات مثلا أنهماك القسيس لوتس فى اعطاء شفيتر الاوراق المالية لدسها فى فوهة المدفأة دون أن يتبين أنهاأوراقمالية، ثم ملاحظته هذا فجأة . من الحركات أيضا طريقة مشى السيدة نومزن . وكذلك قفز شفيتر على الكومودينو ،وتحريكه السرير والكراسى والمنضدة بدقة متناهية حتى يستطيع أن يموت . وثالثا الكلمات . وبعض الكلمات يضحك لانه قصير جدا وسريع .مثل صراخ شفيتر فى لوتس : أخرج . وبعضها يضحك لانه طويل أطول من المطلوب ، مثل كلام القسيس لوتس : « كنت راقدا فاقد الشعور فى السرير وكنت أصلى من أجلك وأتلو المزمور التسعين : يارب ملجأ كنت لنا فى دور فدور .» وكان يقول هذا الكلام بعدأن نهره شفيتر وقال له انه ليس بحاجة الى آيات الحكمة .وهناك كلمات تضحك لتكرارهـا مثل : نعم ياسيد شفيتر . وهناك كلمات تضحك لانتقاصها من قيمة شئ له قيمتهالواضحة، مثل تسمية الزهور « خضار » . وكلمات تضحك لانها تتعامى عن الواقع ،مثل قول القسيس لشفيتر : البروفسور شلاتر تبين أنك مت .وربما كان أشد الكلام اثارةللضحك هو ذلك الذى يشتمل على ملاحظات نقدية خبيثة . مثل كلام نومزن عن البروفسورشلاتر : أنها تعرفه ، لانها بحكم عملها ، كخادمة مراحيض ،تجلس فى مكان استراتيجى ترىفيه الناس من كل الطبقات ،فاذا أضفنا الى هذا علمنا أنها بالأضافة الى عملها خادمة مراحيض قوادة تعطى للراغبين عناوين الفاجرات ، قدرنا ما بالنكتة من عمق لاذع .

النيزك على المسرح :

يشترك دورينمات نفسه اشتراكا كبيرا فى أخراج مسرحياته . ويظهر ذلك فى الارشادات التفصيلية الكثيرة التى يوجهها الى المخرج والممثلين فى النسخ المطبوعة .لان دورينمات رجل المسرح قبل كل شئ . ولهذا ينبغى عند ترجمة مسرحياته ألا تغفلهذه الارشادات أو تختصر لان هذا يعنى تشويه العمل أو أظهاره بصورة ناقصة.

وقد أخرجت مسرحية النيزك فى شتاء ١٩٦٦ على مسرح زيوريخ ثم بعد ذلك مباشرة على مسرحى ميونيخ وهامبورج . أخرجها فى زيوريخ ليوبولد ليتبرج على مسرح « تسوريشر شاوشبيلهاوس » وقام بدور شفيتر الممثل العظيم : ليونهار شتيكل ،ومثلت الين شفيرس » دور أوجوسته ، وقام « بيتر بروجله » بدور الرسام الشاب نيفنشفاندر. ورسم الديكور ، مصمم الديكور العالمى تيو أوتو . أما فى ميونيخ فأخرجها هانس شفايكرت على مسرح « مونشنر كامر شبيلين » وقام بالدور الرئيسى، شفيتر ،الممثل بأول فيرهوفن . وأما فى هامبورج فأخرجها « هانس ليتساو » على مسرح «تاليا -تياتر ومثل دور شفيتر الممثل هاسه.

وبعد فهذه مسرحية دورينمات الأخيرة « النيزك » نقدمها للمسرح العربى وللجمهور العربى راجين أن نكون بالترجمة والدراسة قد أسهمنا فى التعريف بدورينمات الذى يعد من أكبر المؤلفين المسرحيين فى وقتنا الحاضر .

النيزك

تأليف

فريدريش دورينمات

ترجمة وتقديم

دكتور مصطفى ماهر

فريدريش دورينمات

النيزك

كوميديا فى فصلين

—<···>—

ترجمة وتقديم

دكتور مصطفى ماهر

مراجعة

دكتور عبد الغفار مكاوى

شخصيات المسرحية

فولفجنج شفيتر : أديب حائز على جائزة نوبل	Wofgang Schwitter
أولجا : زوجه	Olga
يوخن : ابنه	Jochen
كارل كوبـه : النـاشر الـذى ينشر مؤلفاته	Carl Koppe
فريدريش جيورجن : ناقد لامع	Friedrich Georgen
هوجو نيفنشفاندر : رسام	Hugo Nyffenschwander
اوجوستة : زوجته	Auguste
امانويل لوتس : قسيس	Emmanuel Lutz
موهايم العظيم : مقاول	Der Grobe Muheim
بروفسور شلاتر : جراح	Professor Schlatter
السيدة نومزن : مشتغلة بالتجارة	Frau Nomsen
جلاوزر : بواب	Glauser
الرائد فريدلى : من جيش الخلاص	Major Friedli
شافروت : مفتش الشرطة	Schafroth

نقاد وناشرون ورجال شرطة ورجال من جيش الخلاص المسيحى .

الفصل الأول

مرسم موثث . الى اليسار في الخلفية تجويف في الجدار (نيشه) ينتهي الى أعلى بنافذة مائلة تفتح الى الخارج وتلقى بضوء مائل من أعلى[1] . في أقصى الخلفية مساكن خشبية فقيرة ثم السماء . الزمن صيفا ، أطول يوم ، والساعة تشير الى الرابعة والنصف بعد الظهر ، والجو خانق حار رطب . أمام تجويف الجدار حامل لوحة الرسام وفي التجويف حوامل عليها الالوان والفراش والاوانى .... الخ الى يمين التجويف باب ، هو الباب الوحيد الذى يودى الى المرسم وليس للمرسم مدخل غيره . الى أقصى اليسار في المقدمة عند الجدار الجانبى « كوميدينو » قديم عليه صورة عارية . ويقابله عند الجدار الجانبى ناحية اليمين سرير موضوع موازيـا لحاجز المسرح والى يمين ويسار السرير مـن

---

(١) يلاحظ ان اسقف المنازل الاوروبية مائلة ، جمالون ، وأن الدور العلوى تكون جدرانه الخارجية قصيرة يميل عليها السقف فيكملها ، وتكون النوافذ عادة بين الجدار والسقف ، وتفتح الى الخارج بسلسلة أو بقضيب من الحديد . ويسكن فى هذه الادوار العلوية عادة الفقراء من الطلبة والعمال والفنانين . (المترجم)

ناحية الرأس كرسيان قديمان ، ووراء السرير ساتر (بارافان) عليه صورة عارية . وهناك صورة عارية أخرى معلقة أو قائمة في جوانب المكان وفي وسط المرسم مدفاة حديدية تستخدم أيضاً لاعداد الطعام ، ولها ماسورة مدخنة عجيبة الشكل تنثنى فوق المدفأة وتتلوى التواءات مطولة ناحية اليمين الى أن تصل الى الجدار وتختفى فيه . كذلك هناك احبال غسيل نشر عليها لفف أطفال . وإلى اليسار بجانب المدفأة كرسى وثير (فوتيل) قديم يوشك أن يتحطم ، ثم منضدة مستديرة قديمة مائلة الى جانب ، ثم كرسى . الرسام نيفنشفاندر يعمل في اللوحة العارية القائمة فوق الحامل وقد بسط يده وترك سيجارة بين شفتيه . الموديل هى اوجوسته نيفنشفانـدر زوجته ، ترقد عارية على السرير مولية الجمهور ظهرها .

(صوت دق على الباب)

نيفنشفاندر : ادخـــل .

(ينفتح الباب . شفيتر يدخل . لم يحلق ذقنه . يلبس معطفا من الفراء الثمين رغم الحرارة الفظيعة . جيوبه ممتلئة بالمخطوطات . يحمل حقيبتين مكتظتين . يتأبط تحت ذراعه الايسر شمعتين كبيرتين . يتلفت حواليه بانتباه واضح . نيفنشفاندر يستمر في الرسم)

نيفنشفاندر : ماذا تريد ؟

(شفيتر لايجيب)

نيفنشفاندر : لاتتحركى يا أوجوسته .

(يرى شفيـــتر)

نيفنشفاندر : أنت — أنت على — ما أظن ..

شفيتر : نعم هو أنا . أنا فولفجنج شفيـــتر .

(يعود الى التلفت حواليـــه)

شفيتر : لم يتغـــــير .

نيفنشفاندر : معذرة . أنت على ما أظن — أعنى — لامعذرة —

(يلقى السيجارة ويدوسها مرتبكا)

شفيتر : تريد أن تقول أننى أحتضر .

نيفنشفاندر : ولكن ياسيد شفيتر —

شفيتر : لاتقل ولكن . فما أردت أن تقوله هو الحقيقة .
هل لى أن أرجوك أن تحمل عنى الشمعتين —

نيفنشفاندر : طبعا يا سيد شفيتر

(يحمل عنه الشمعتين)

نيفنشفاندر : والحقيبتين —

شفيتر : انك تتجاوز حدودك !

نيفنشفاندر : معذرة ياسيد شفيتر !

شفيتر : هل لى أن أرجوك أن تقفل الشباك ؟ حقيقة أننا في الصيف وأن هذا الصيف جميل جمالا نادرا وأن اليوم هو أطول الأيام ، ولكننى ارتعد من البرد

نيفنشفاندر : طبعا ، ياسيد شفيتر .

(يقفل النافذة ثم الباب)

شفيتر : الصحف مليئة بالمشاهد المؤثرة . الاديب الحائز على جائزة نوبل في المستشفى . الاديب الحائز على جائزة نوبل تحت خيمة الاوكسجين . الاديب الحائز على جائزة نوبل على سرير العمليات . الاديب الحائز على جائزة نوبل في سكرات الموت. لقد أصبح مرضى أمرا له شهرة عالمية ، وأصبح احتضارى قضية عامة ، ولكنى أفلت وركبت سيارة الاوتوبيس وهأنذا هنا .

(يترنح)

شفيتر : لابد أن أجلس . فان الجهد —

(يجلس على حقيبته)

نيفنشفاندر : أتسمح لى —

شفيتر : لا تلمسنى . لابد أن يـــرفع الناس أيديهم عـــن المحتضرين .

(يحملق في المرأة)

شفيتر : شيء عجيب . عندما يوقن الناس بأنه لن تمر لحظات حتى يأتى الموت ويخطفنى إذا بى أجلس فجأة أمام امرأة عارية وأرى ظهرها وبطنها ونهديها وكلها مـــن ذهب .

نيفنشفاندر : انها امرأتى .

شفيتر : امرأة جميلة . رباه ، ليتنى أضم جسما كهذا مرة أخرى بين ذراعى .

(ينهض)

نيفنشفاندر : اوجسته ، ارتدى ملابسك .

(تتوارى وراء الساتر من ناحية اليمين في الخلف) .

شفيتر : انى في غاية البهجة يا عزيزى — ما اسمك ؟

نيفنشفاندر : نيفنشفاندر . هوجو نيفنشفاندر .

شفيتر : لم أسمع بك قط .

(يتلفت حواليه مرة أخرى)

شفيتر : كنت أسكن هنا قبل اربعين عاما وكنت أرسم

أيضاً . ثم ألقيت بلوحاتى إلى فوهة المدفأة وبدأت

(يجلس في الكرسى الوثير) .

شفيتر : مازال هنا هذا الكرسى المكسور الفظيع .

(يحشرج)

نيفنشفاندر : (منزعجا) : ياسيد شفيتر —

شفيتر : لقد حان أجلى .

نيفنشفاندر : اوجوسته . كوبا من الماء .

شفيتر : ليس الموت شيئاً مزعجاً .

نيفنشفاندر : بسرعة .

شفيتر : سيمر كل شىء على التو .

نيفنشفاندر : لابد أن تعود إلى المستشفى ياسيد شفيتر .

شفيتر : كلام فـــارغ !

(يتنفس بعمق)

شفيتر : أريد أن أستأجر المرسم .

نيفنشفاندر : المرسم ؟

شفيتر : لمدة عشر دقائق . لاننى أريد أن أموت هنا .

نيفنشفاندر : هنـــا ؟

شفيتر : أعوذ بالله . ان هذا هو السبب الوحيد الذى من أجله أتيت إلى هنا .

(اوجوسته وقد ارتدت ملابسها ، تأتي بكـــوب من المـــاء)

أوجوسته : هـــذا مـــاء . ياسيد شفيتر .

شفيتر : لا أشرب المـــاء مطلقـــا .

(يحملق فيها)

شفيتر : امرأة جميلة حتى وأنت في ثيابك . هل تغضبين منى إذا ناديت باسمك مجردا أوجوسته ؟

أوجوسته : لا ياسيد شفيتر ، لا أغضب على الاطلاق .

شفيتر : لو لم أكن في لحظة الاحتضار لاتخذتك لى خليلـــة أعذريني على هذا الكلام ، ولكن الانسان وهـــو يواجه الابدية ....

أوجوسته : طبعا ياسيد شفيتر .

شفيتر : لقـــد تجـــرد ساقاى الآن من الاحساس . اســـمع يانيفنشفاندر ، ان الموت شيء لطيف جدا وينبغى عليك أنت أيضا أن تجربه . ما أعظم الأفكار التى تخطر ببال الانسان وهو يموت ، ما أعظم التردد

وهو يتبدد ، ما أعظم الآراء التى تهبط . ذلك شيء لا يمكن أن يوصف إلا بالعظمة والروعة . ولكنى لا أريد أن أثقل عليكم . أتركوني وحدى ربع ساعة ، وعندما تعودون أكون قد انتهيت .

(يدس يده في جيب بمعطف الفراء ويعطى نيفنشفاندر ورقة مالية) .

شفيتر : مائـــة .

نيفنشفاندر : شكرا ياسيد شفيتر .

شفيتر : على الحديدة هه ؟

نيفنشفاندر : هه ، إذا كان الانسان ثائرا في مجال الفن

شفيتر : عندما كنت في هذا المرسم كانت أحوالى أنا أيضا قذرة . لم يكن هناك إنسان ، بل لم يكن هناك كلب يفكر في أن يقرض رساما بلا موهبة أحرق ريشته وتحول إلى الكتابة وهكذا كان على أن أشق طريقى بوسائل المجرمين ، أسمعت يانيفنشفاندر ، أشق طريقى بوسائل المجرمين .

(يفتح المعطف)

شفيتر : أزمة تنفس .

نيفنشفاندر : ربما كان الأفضل أن أتصل بالمستشفى ــ ــ

شفيتر : أريد أن أرقد على السرير .

أوجوسته : سأفرش عليه ملاءة جديدة ياسيد شفيتر .

شفيتر : لماذا ؟ سأموت في ملاءتك وما زالت دافئة بحرارة جسمك يا أوجوسته .

(ينهض ويضع ورقة مالية أخرى على المائدة)

شفيتر : مائة أخرى . وهكذا يصبح الانسان كريما وهــو يوشك على الخروج من الدنيا .

(يخرج من جيوبه المخطوطات ويدفع بها إلــى نيفنشفاندر)

شفيتر : آخــر مخطوطاتي .

نيفنشفاندر : هل أسلمها لناشرك ــ

شفيتر : الق بها في المدفأة .

نيفنشفاندر : معذرة ياسيد شفيتر .

(يدسها في فوهة المدفأة)

شفيتر : أشعل النار فيها .

نيفنشفاندر : كما تريد ياسيد شفيتر .

(يشعل النار فيها . شفيتر يخلع معطف الفراء ويضعه بتؤدة على الكرسى الوثير ويخلع حذاءه بأن يخرج منه دون أن يمد يده اليه ثم يضع الحذاء بتؤدة إلى جانب الكرسى ، ويقف بالبيجاما وقدماه مربوطتان) .

نيفنشفاندر : أشعلت النار فيها .

شفيتر : سأرقد في الفراش الآن . ولن تتأخر نهايتى سوى دقائق قليلة .

(تهم أوجسته بالاخذ بيديه)

شفيتر : دعيني يا أوجوسته . فأنا أريد أن أفكر وأنا في اللحظات الأخيرة من حياتى في شيء له من الأهمية الجوهرية أكثر مما لمرأة جميلة .

(يسير متثاقلا إلى السرير)

شفيتر : أى لا أريد أن أفكر في شيء !

(يرقد)

شفيتر : أريد أن ينطفىء نورى قليلا قليلا .

(يرقد جامدا)

شفيتر : سريرى القديم . ومرتبتى القديمة التى لم يأت عليها

البـــلى . واللحاف مازال بــه أثــر القطع القديمة .
وماســورة المدفأة القبيحة مازالت في اتجــاههــا .

أوجوسته : ياسيد شفيتر ؟

شفيتر : غطيني

اوجوسته : أمرك ياسيد شفيتر .

(تغطيــه)

شفيتر : ضع الشمعتين يانيفنشفاندر . فلابد للموت من شيء من الاحتفال . وكلنا رومانتيكيون عندما تدق الساعة الأخيرة اللطيفة .

نيفنشفاندر : عن طيب خاطر ياسيد شفيتر .

(يضع الشمعتين قائمتين فوق الكرسيين القديمين بجوار السرير)

شفيتر : أشعلهما .

نيفنشفاندر : في الحال ياسيد شفيتر .

(يشعل الشمعتين)

شفيتر : أقفلى الستائر يا أوجوسته .

أوجوسته : أمرك ياسيد شفيتر .

(تقفل الستائر وهى ستائر سوداء اللون . أصبح المرسم الآن مظلما الا من ضوء الشمعتين)

نيفنشفاندر : هل ارتحت ؟

شفيتر : ارتحت ؟

أوجوسته : كأننا نحتفل بعيد رأس السنة .

(يقف الرسام وزوجته كجماعة من المصلين الخاشعين . سكون . شفيتر يرقد جامدا . الاثنان ينحنيان فوقه) .

أوجوسته : هوجو —

نيفنشفاندر : أوجوسته ؟

أوجوسته : لم يعد يتنفس .

نيفنشفاندر : انتهى .

أوجوسته : ربـــاه .

نيفنشفاندر : نهائيـــا .

أوجوسته : وماذا نفعل الآن ؟

نيفنشفاندر : لا أعـــرف .

أوجوسته : ألا ننادى البواب ؟

نيفنشڤاندر : يالهذا الموقف اللعين .

(سكون)

أوجوسته : هوجو —

نيفنشڤاندر : أوجوسته ؟

أوجوسته : انه يفتح عينيه.

نيفنشڤاندر : هـــه ؟

شڤيتر : (بصوت خفيض (هذه كلها صور عارية . ألا ترسم شيئا آخر سوى امرأتك عارية ؟

نيفنشڤاندر : أنا أصور الحياة ياسيد شفيتر .

شڤيتر : يا للعجب . وهل يمكن تصوير الحياة ؟

نيفنشڤاندر : أنا أحاول ذلك ياسيد شفيتر .

شڤيتر : اذهبـــا .

أوجوسته : حالا ياسيد شفيتر . سآخذ معي التوأمين وسنخرج .

شڤيتر : التوأمين ؟

أوجوسته : ارما وريتا . عمرهما ستة أشهر .

شڤيتر : دعيهما هنا .

أوجوسته : واللفف —

شفيتر : لا تضايقني في شيء .

أوجوسته : ماء الغسيل يتساقط منها .

شفيتر : هذا لا يهمني .

نيفنشفاندر : تعالى يا أوجوسته .

أوجوسته : ياسيد شفيتر — أنا بالباب اذا احتجت شيئا .

شفيتر : أنت مدهشة يا أوجوسته .

أوجوسته : حسنا ياسيد شفيتر .

(يلوح واهنا لتوديعهما . الاثنان يتجهان إلى الباب)

شفيتر : يانيفنشفاندر .

نيفنشفاندر : نعم ياسيد شفيتر .

شفيتر : أنت تشبه أحد الوزراء البلجيكيين .

نيفنشفاندر : (مرتبكا (: نعم ، ياسيد شفيتر .

الاثنان يتركان المرسم . شفيتر وحده . يرقد جامدا مطبق اليدين . وما يكاد الانسان يظن أنه مات حتى ينهــض فجأة من الفــراش وينزل ويفتح احدى الحقيبتين ويبدأ وهو راكع على الأرض فيالبيجاما يخرج ما في الحقيبة ويدسه في المدفأة .

يدخل القسيس امانويل . مظهره لطيف يـــوشك أن يكون كمظهر الأطفال ، يلهث في الاربعين من عمره ، ضعيف البنية ، هزيل أشقر الشعر ، يلبس نظارة ذهبية وثوبا أسود اللون ويحمل في يده اليسرى قبعة سوداء عريضة الحافة)

القسيس لوتس : السيد شفيتر ! رباه!

شفيتر : اخـــرج .

القسيس لوتس : تمجد الرب في الأعالى.

شفيتر : لست بحاجة إلى آيات الحكمة.

القسيس لوتس : أنت لا تزال حيا .

شفيتر : أغرب عن وجهـــى .

القسيس لوتس : أنا القسيس امانويل لوتس من الابرشية اليعقوبية وقد أتيت لتوى من المستشفى .

شفيتر : أنا لا أحتاج إلى رجال الدين .
(يعود إلى إشعال النار في المدفأة) .

القسيس لوتس : استدعتنى السيدة عقيلتك لأكون عند فراش مرضك.

شفيتر : هذا شيء لا يستغرب منها .

القسيس لوتس : والحقيقة انى كنت في حيرة من أمرى ، فأنت أديب

مشهور في الدنيا كلها وأنا قسيس بسيط لا صلة بيني وبين الأدب الحديث .

شفيتر : المدفأة تشتعل .
(يقلب في نار المدفأة)

القسيس لوتس : هل يمكنني أن أساعدك ؟

شفيتر : هل تتكرم وتأتيني بالأوراق .

القسيس لوتس : عن طيب خاطر .
(يضع القبعة على المائدة ويركع مثل شفيتر ويدفع اليه بالأوراق التي في الحقيبة)

القسيس لوتس : كنت راقدا في السرير فاقد الشعور وكنت اصلي من أجلك وأتلو المزمور التسعين :
« يارب ملجأ كنت لنا في دورٍ فدورٍ . »

شفيتر : النار تتأجج .

القسيس لوتس : « تُرجع الانسان إلى الغبار وتقول ارجعوا يابني آدم . » — الحرارة تشتد .[1]

---

(١) نص الفقرة الاولى من المزمور التسعين : « يا رب ملجأ كنت لنا في دور فدور. من قبل أن تولد الجبال او ابدأت الارض والمسكونة منذ الازل الى الابد انت الله . ترجع الانسان الى الغبار وتقول ارجعوا يا بني ادم . لان الف سنة في عينيك مثل يوم امس بعدما عبر وكهزيع من الليل . جرفتهم كسنة يكونون . بالغداة كعشب يزول . بالغداة يزهر فيزول . عند المساء ويجز فييبس . » ؛ من ١ الى ٦) .

(يجفف عرقه)

شفيتر : تحترق كالوقود الجيد .

(أوجوسيه تطل متلصصة من الباب)

أوجوسته : ياسيد شفيتر .

شفيتر : مازلت حيـــا .

أوجوسته : نعم ياسيد شفيتر .

(تتوارى)

شفيتر : هيا بنا نكمل الحريـــق .

القسيس لوتس : (يقدم اليه مزيدا من الأوراق) : تفضل .

شفيتر : ولكنى مندهش لا أعرف كيف عرفت مكـــانى الذى اختبأت فيه .

القسيس لوتس : عن طريق الممرضة الأولى . فقد قلت وأنت تهذى من الحمى انك تريد أن تعود إلى مرسمك القديم .

(يضطرب)

القسيس لوتس : ياسيد شفيتر —

شفيتر : ماذا دهـــاك ؟

القسيس لوتس : هذه — هذه — هذه أوراق مالية ، تلك التى نـــ

شفيتر : ومـــاذا ؟

القسيس لوتس : أوراق مالية من فئة الألف . .

شفيتر : بكل تأكيد .

القسيس لوتس : ثـــروة .

شفيتر : مليـــون ونصف .

القسيس لوتس : (وقد فقد السيطرة على نفسه) : مليون ونصـــف

شفيتر : كسبتها من الكتابة .

القسيس لوتس : مليون ونصف . ولكن ورثتك ياسيد شفيـــتر ، ورثتك —

شفيتر : أمرهم لا يهمني .

القسيس لوتس : هذا مبلغ هائل . كان يكفي لاطعام الأطفال وتعليم الممرضات — واذا بك تحرق كل شيء.

شفيتر : أحول كل شيء إلى نار وهاجة .

القسيس لوتس : ليتك تعطيني على الأقل ورقة من فئة الألف لصندوق اعانة المرضى الفقراء—

شفيتر : محـــال

القسيس لوتس : أو للمبشرين الذين يبشرون المسلمين—

شفيتر : محال . لقد كنت فقيرا عندما كنت أعيش في هذا المرسم وأريد أن أموت فيه فقيرا .

(يستمر في الحرق)

القسيس لوتس : تريد أن تموت ؟

(ينهض)

القسيس لوتس : أنت تموت ؟

شفيتر : عندما تأكل النار ثروتي عن آخرها سأتمدد في الفراش وأحتضر .

القسيس لوتس : ولكن ياسيد شفيتر ، لا يمكن أن تحتضر الآن — لأنك ، — لانك قدمت ياسيد شفيتر .

شفيتر : مت ؟

(يحملق في القسيس وهو ما يزال راكعا أمـــام المدفأة)

القسيس لوتس : عندما تلوت عليك المزمور التسعين انتفضت وفاضت روحك .

(صمت)

القسيس لوتس : (بصوت خفيض) : كان شيئا مؤثرا .

(شفيتر يستمر في دس الأوراق المالية في المدفأة وثم ينهض ويصيح)

شفيتر : أوجوسته .

(أوجوسته تظهر بالباب)

أوجوسته : نعم ياسيد شفيتر ؟

شفيتر : كونياك بسرعة . زجاجة كاملة .

أوجوسته : حالا ياسيد شفيتر .

(تختفى) .

شفيتر : ساعدنى في ارتداء معطف الفراء .

(القسيس يساعده)

شفيتر : قلت انى مت .

القسيس لوتس : أخذك الرب إلى جواره .

شفيتر : شيء مضحك . لقد أصبت بإغماء ، فلما أفقت كنت بمفردى في الحجرة بالمستشفى .
وكان هناك رباط يمسك ذقنى .

القسيس لوتس : هذا شيء مألوف في حالة الجثث حديثة الوفاة .

شفيتر : وكان هناك فوق اللحاف بحر من الزهور وكانت هناك شموع موقدة .

القسيس لوتس : تماما .

شفيتر : فزحفت تحت باقات الزهور المرسلة من الحكومة ومن لجنة جائزة نوبل إلى أن خرجت وذهبت إلى مرسمى . هذا كل ما في الأمر .

القسيس لوتس : ليس هذا كل ما في الأمر .

شفيتر : تلك حقيقة واقعة .

القسيس لوتس : بل الحقيقة الواقعة هى أن البروفسور شلاتر تبين شخصيا أنك مت . في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخمسين .

شفيتر : أخطأ التشخيص .

القسيس لوتس : ولكن الاستاذ البروفسور شلاتر حجة .

شفيتر : وقد يخطئ من كان حجة .

القسيس لوتس : الا البروفسور شلاتر .

شفيتر : ولكنى مازلت أعيش .

(يتحسس نفسه عن غير قصد)

القسيس لوتس : تعيش مرة ثانية . لقد بعثت من الموت . وهذا شيء لا يمكن الشك فيه من الناحية العلمية . لقد قامت الدنيا وقعدت في المستشفى . لقد اهتز صرح الكفر والالحاد . انني أكاد أدوخ من الفرحة . هل لى أن أجلس ؟ لحظة فقط .

شفيتر : تفضـــل .

(القسيس لوتس يجلس إلى المائدة المستديرة)

القسيس لوتس : لابد أن تلتمس لى العذر . فأنا أواجه المعجـــزة ، وأقف قاب قوسين أو أدنى من الرب القـــوى المكين . انني أوشك أن أفقد السيطرة على نفسى . انني أحس كأن الجنة فتحت أبوابها وكأن نعيمها يحيط بنا . أتسمح لى بأن أفتح ياقتى قليلا ؟

شفيتر : خـــذ راحتك .

(يفتح الحقيبة الثانية)

شفيتر : أنا بعثت ! أنا ! من الموت ! يالها من نكتة !

القسيس لوتس : تمجد الرب في الأعالى .

شفيتر : كف عن ترتيل كلماتك هذه .

القسيس لوتس : لقد اختارك الله ياسيد شفيتر لكى يبصر من عميت بصائرهم ولكى يؤمن به من لا يؤمنـــون .

شڤيتر : ما بالك تتحول إلى السخف .

(يستمر في حرق الأموال)

القسيس لوتس : ولكن روحك ــــ

شڤيتر : ليس لى روح ، لم يكن لدى من الوقت ما يكفى لكى يكون لى روح . ولك أن تجرب . أكتب كل عام مسرحية وستتبين أنك ستلغى حياتك الباطنية على الفور . وهأنتذا ياقسيس لوتس تأتى إلى بكلامك هذا ! ولابد أن تعترف بأنك تفعل هذا بحكم مهنتك . ولكن لا . لا يمكن أن يحلل الانسان نفسه إلى مكوناته ، إلى : ماء ودهن وأملاح معدنيــة وروح ، بينما أنت تنثر حولك كلاما عــن الله والمعجزات. لماذا ؟ أتريد منى أن أعتبر نفسى أرادة الله ؟ أتريد منى هذا لكى أؤكد لك إيمانك الذى تتعلق به ؟ انى أريد أن أموت مخلصا بلا خيــال وبلا شعر . ولست أريد إلا أن أحس مرة أخرى بالزمن الخالص ، بهذا الانسياب الرقيق ، لست أريد شيئا سوى أن أشعر مرة أخرى بالــدقيقة كحقيقة واقعة لست أريد شيئا غير ثانية من الزمان مليئة بالحاضر .

(ينهض)

شفيتر : لقد احترقت ثروتى .

(أوجسته تظهر بالباب لاهثة)

أوجوسته : الكونياك ، ياسيد شفيتر .

شفيتر : إلى به .

أوجوسته : نعم ياسيد شفيتر .

(تحمل اليه الزجاجة)

شفيتر : اختفى ! اذهبي !

أوجوسته : نعم ياسيد شفيتر .

(تختفى . يلاحقها بنظراته)

شفيتر : ما أشبهها بحيوان صغير لطيف حلو وهو يعــدو ويخبط الأرض برجليه .

(يجلس في الكرسى الوثير ويفتح الزجاجة ويشرب)

شفيتر : مفيــد .

(يرفع القبعة من فوق المائدة ويدفع بها إلى القسيس)

شفيتر : قبعتك .

القسيس لوتس : شــكرا .

(يأخذ القبعة ويبقى)

شفيتر : جميل منك أنك ساعدتنى على حرق المليون ونصف

القسيس لوتس : بل كان من الطبيعى أن أفعل .

شفيتر : والآن اخرج .

(القسيس لوتس يضع القبعة مرة ثانية على المنضدة ويظل جالسا)

القسيس لوتس : ياسيد شفيتر . صحيح انى في الأربعين ، ولكن صحتى أنا في يد الله كان ينبغى أن أعود منذ مدة طويلة إلى دارى فما زال على أن أعد لصلاة المساء . ولكننى احس فجأة بأننى خائر هالك متعب لدرجة لا يمكن وصفها — اتسمح لى بأن أتمدد في السرير قليلا — لحظة فقط —

شفيتر : تفضل .

(يشرب)

شفيتر : وأنا على أية حال لم أعد استطيع النهوض .

القسيس لوتس : نعم فقد كانت الاثارة شديدة بالغة الشدة .

(يترنح ناحية السرير ، يجلس)

القسيس لوتس : الأفضل أن أخلع حذائى أيضا .

(يبدأ في فك أزرار الحذاء)

القسيس لوتس : للحظة قصيرة فقط . حتّى تنتظم الدورة الدموية مرة ثانية —

شڤيتر : خذ راحتك وكأنك في بيتك .

(يضع يديه على صدره)

شڤيتر : قلبي يتوقف .

القسيس لوتس : انظر إلى حالى تّهن عليك حالك .

شڤيتر : ليس ضيق التنفس بالشئ المفرح .

القسيس لوتس : أبانا الذى في —[1]

شڤيتر : (بصوت أقرب إلى الصفير) : لا تصل .

القسيس لوتس : (منزعجا) : معذرة .

شڤيتر : أنا أموت .

(يشرب)

شڤيتر : ولكنى لا أموت على النحو المهيب الذى رسمته ، بل أموت في هذا الكرسى القبيح .

(يشرب)

---

(١) يتلو الصلاة : « ابانا الذى فى السماوات .. الخ » (المترجم)

شڤيتر : انني ارثى لك ايها القسيس ، فلن تفيد شيئا من بعثى .

(يضحك عاليا)

شڤيتر : أتانى من قبل قسيس ذات مرة ، رثيت له كما رثيت لك . كان ذلك عندما انتحرت زوجتى الثانية ، ابنة أحد كبار رجال الصناعة . ابتلعت نصف كيلو من العقاقير المنومة ، على حد تقديرى ، وكان زواجنا عذابا — كنت احتاج إلى المال وكان لديها المال ، لا أريد أن أشكو الآن من شئ مضى — كانت تثيرنى إلى درجة تقرب من الجنون — — ثم إذا بى أراها ممددة هكذا بيضاء خرساء — منظر تأثر له القسيس . وكان قد أتى والطبيب لا يزال يعبث ما شاء بالجثة ولم يكن وكيل النيابة قد ظهر بعد . كان القسيس يلبس رداء أسود مثلك يا قسيس لوتس . وكان في سنك . ووقف بجانب السرير يحملق في المرحومة ثم جلس بعد ذلك في القاعة . وقد عقديديه . وبدأ عليه كأنه يريد أن يقول شيئا ربما كلمات من الكتاب المقدس ، ولكنه لم يقل شيئا ، وذهبت أنا بعد أن فرغت من كأس الكونياك الثامنة إلى حجرتى وكتبت قصة

فصل بمدرسة القرية أنهال تلامذته على مدرسهم الشاب المثالى ضربا حتى خر قتيلا فداسه أحد الفلاحين بالجرار حتى يضيع معالم الجريمة . في وسط القرية . امام مبنى المدرسة . والجميع ينظرون ومن بينهم الشرطى . أعتقد أن هذه القصة أصبحت أحسن ما كتبت نشرا ، وعندما خرجت من حجرتى قبيل الصباح اترنح متعبا أشد التعب ودخلت في القاعة ، لم يكن القسيس جالسا بها . للأسف . لقد كان قسيسا مسكينا عاجز الحيلة .

(يشرب القسيس لوتس وقد خلع حذاءه في هذه الاثناء يرقد في السرير)

القسيس لوتس : أنا كذلك لا فائدة منى . ألقى العظة فينام الحاضرون

(يرتعد)

شفيتر : ربما لم يكن قسيساً على الاطلاق . ربما كان خليل زوجتى الثانية . ربما كان لها عشاق كثيرون . شئ عجيب ، انى لم افكر في هذا الاحتمال الا الآ ن .

(يشرب)

القسيس لوتس : أحس بردا قارصا .

شڤيتر : وأنا أيضا أرتعش قليلا من البرد .

القسيس لوتس : كان الرب قريبا ، وقد أبتعد الآن .

شڤيتر : كنت انوى أن أعتزل الدنيا بشئ من العظمة والجلال ، فاذا بى اشرب حتى السكر .

(يشرب)

القسيس لوتس : أنت لا تؤمن ببعثك .

شڤيتر : لم يكن موتى حقيقة .

القسيس لوتس : وتريد أن تموت

شڤيتر : لابـــد .

(يشرب . يضع الزجاجة بعنف على المنضدة ويرتمى الى الوراء في الكرسى الوثير)

القسيس لوتس : رحمـــه الله !

(صمت. القسيس لوتس يعقد يديه)

القسيس لوتس : أشهد بأننى أؤمن ببعثك . وأؤمن بأن الرب صنع معجـــزة . وأومن بأنـــك ستعيش فالرب ، رب العالمين يعرف قلـــبي . والحق أنـــه من الصعب على الانسان أن يدعو الناس الى انجيل استشهاد

المسيح وقيامه من الموت دون أن يكون لديه وسيلة أخرى للبرهان سوى الايمان . كان الحواريون ، مع احترامي الكامل لهم ، في موقف أيسر بكثير ، لأن السيد المسيح كان يعيش بينهم ويأتي أمام أعينهم بالمعجزة تلو المعجزة ، كان يرد الأعمى بصيرا والمشلول معافي ويبرئ الابرص ، كان يسير فوق الماء ويحيي الموتى . فلما بعث ابن الانسان بعد موت كان توماس لايزال متشككا مرتابا فكان له أن يضع يده على جراحه ، ليتأكد منها . لم يكن من الصعب في تلك الظروف أن يؤمن الانسان ويصدق . ولكن زمنا طويلا مضى على ذلك ، ولم يأت ملكوت السماوات الذى وعدنا به قط ، وبقينا نعيش في الظلمات لانلوذ الابما لنا من أمل . كان الامل هو وحده الذى يغذى ايماننا ، وما كان أقل هذا . رباه وهأنتذا قد رحمتني . انني ارى نورك . ألا فارحم ايضا اولئك الذين لا يستطيعون الابصار بعظمتك لان تواريك عنهم يعميهم .

(سكون . الباب ينفتح ببطء . اوجوسته تطل الى الداخل)

أوجوسته : (بصوت خفيض) : ياسيد شفيتر .

(صمت)

أوجوسته : (بصوت أعلى) : ياسيد شفيتر .

(صمت) . اوجوسته تدخل المرسم مترددة . نيفنشفاندر يطل من الباب)

أوجوسته : (بصوت مرتفع): ياسيد شفيتر .

نفينشفاندر : ماذا جرى ؟

أوجوسته : لا أحد يجيـــب .

نيفنشفاندر : لا أحد يجيب .

أوجوسته : لا أحد يجيب .

نيفنشفاندر : انظرى ما حدث له .

(اوجوسته تذهب الى الكرسى الوثير وتنحنى على شفيتر . يظهر بالبا ب البواب جلاوزر وهو رجل ممتلىء الجسم يميل الى الدعة ، يتصبب عرقا)

جلاوزر : ماذا حدث ؟

نيفنشفاندر : زوجتى تنظر ما هناك .

جلاوزر : رأيت الرجل وهو يصعد الدرج يانيفنشفاندر ، فلاح لى على الفور مثيرا للشبهة . اليس كذلك ؟ ! انسان يلبس معطفا من الفراء برغم الحرارة ، ويحمل شمعتين تحت ابطـــة .

نيفنشفاندر : كان ينبغى عليك أن تبلغ الشرطة .

(أوجوسته تعتـــدل)

أوجوسته : هوجــــو .

نيفنشفاندر : هل مات ؟

أوجوسته : أعتقد ذلك .

نيفنشفاندر : أخـــيرا .

(جلاوزر يرتبك)

جلاوزر : هناك شخص آخر ممدد في السرير .

(يذهب الى السرير)

جلاوزر : نيفنشفاندر ، أنا في دهشة .

نيفنشفاندر : رجل آخــــر ؟

أوجوسته : انه القسيس لوتس .

نيفنشفاندر : مات هو الاخر .

جلاوزر : أنا في غاية الدهشة . فأنا البواب ومهمى هى السهر على النظام هنا . وهأنذا أجد في مرسمك جثتين .

(شفيتر يفتح عينيه وهو في كرسيه الوثير)

شفيتر : كان الوزير البلجيكى يرسم في أوقات فراغه .

(ينهض)

شفيتر : في هذا الكرسى يموت الانسان ميتة متعبة .

أوجوسته : ياسيد شفيتر —

(تحملق فيه)

شفيتر : خذى بيدى الى السرير يا أوجوسته . هيا .

(صمت)

أوجوسته : (مرتبكة) : لايمكن : لايمكن ، ياسيد شفيتر .

شفيتر : ولم لا ؟

أوجوسته : لأن — لأن القسيس ، ياسيد شفيتر — لأن القسيس قد مات . (سكوت . شفيتر يذهب الى السرير وينظر الى القسيس مكتئباً)

شفيتر : حقـــا .

(يعود الى الكرسى الوثير ويجلس فيه)

شفيتر : احملوا الجثة بعيدا .

(صمت)

جلاوزر : ياسيد شيفتر .

شفيتر : من أنت ؟

جلاوزر : البواب ياسيد شفيتر . لابد أن نبلغ البوليس أولا ـ

شفيتر : أنا أحتضر .

جلاوزر : ولكن الوفاة من اختصاص السلطات .

شفيتر : وأنا قد اكتسبت حق الرقود في السرير ، لا الجثة .

جلاوزر : وأنا اشغل وظيفة أخشى أن أفقدها ياسيد شفيتر .

شفيتر : هذا مما لايهمنى . لقد استأجرت السرير . وأنا حائز على جائزة نوبل . (صمت)

جلاوزر : حسنا . على مسئوليتك . لننقل القسيس الى الطرقة .

نيفنشفاندر : امسكى معنا يا أوجوسته .

(يحاول الثلاثة حمل الجثة دون جدوى)

جلاوزر : ربـــاه .

نيفنشفاندر : لايمكن حمله قط .

أوجوسته : انه ثقيل جـدا .

جلاوزر : ربما اذا أمسكت معنا يا سيد شفيتر ـــ

نيفنشفاندر : إذا كنا أربعة فلاشك اننا سنستطيع حمله .

(صمت)

شفيتر : (بلهجة التصميم) : لن ألمس القسيس .

نيفنشفاندر : اذن فلا .

جلاوزر : ولابد أن نتصل بالشرطة ـــ

شفيتر : سأساعدكم .

(ينهـــض)

جلاوزر : امسك مع السيدة من الناحية الاخرى ، يا سيادة الحاصل على جائزة نوبل وسنمسك نحن من هذه الناحية . مستعدون ؟

نيفنشفاندر : مستعد .

أوجوسته : مستعدة

شفيتر : مستعـــــد .

(يحملون القسيس)

أوجوسته : انتبهـــوا .

نيفنشڤاندر : على مهـــل .

جلاوزر : لنضعه أمام الباب .

(المرسم خال . أوجوسته تأخذ بيد شفيتر عائدة به)

أوجوسته : انتهينا ياسيد شفيتر . انتهينا . والسرير الآن خال . هل أفرشه بملاءة جديدة بسرعة —

شفيتر : لا

أوجوسته : ومعطف الفراء ؟ ألا تريد أن .——

شفيتر : لا .

(يرتمى وهو في معطف الفراء على السرير)

شفيتر : أخرجـــى .

أوجوسته : ولكن التوأمين — لابد أن ——

شفيتر : امشى ، اخرجى .

أوجوسته : نوم ياسيد شفيتر.

شفيتر : اعجابى بك يزداد يا أوجوسته .

أوجوسته : نعم ياسيد شفيتر .

(أوجوسته تخرج . شفيتر يرقد عاقدا يديه جامدا في السرير ، وفجأة يقفز خارجه)

شفيتر : هذه الصورة اللعينــة .

(يدير اللوحة العارية التي فوق الحامل على الوجه الآخر ، كما يقلب صورا أخرى ، ثم يتسلق الى الكومودينو معتمدا على كرسى ، ويحاول أن يقلب اللوحة العارية الكبيرة التي فوقه . ينفتح الباب . موهايم يدخل وهو يضرب الارض بقدميه ، انه رجل قوى في الثمانين من عمره ، يعمل سمسارا لاراضى البناء ومقاول بناء ويمتلك عددا من البيوت)

موهايم : هيه . هل هنا أحد ؟

(يلمح شفيتر فوق الكومودينو)

موهايم : هيه . هناك جثة أمام بابك .

شفيتر : أعــرف هذا .

موهايم : هل تخصك ؟

شفيتر : لا .

(يحاول دائما أن يقلب اللوحة)

موهايم : وكيف جاءت الى بابك ؟

شفيتر : كانت في السرير واحتجت اليه لنفسى .

موهايم : اذا سمحت لى أن التمس منك بكل تواضع أن تقدم الى تفسير ——

(ينتفض فجأة)

موهايم : رباه ، لمن هذه الجثة ؟

شفيتر : قسيس ابرشية يعقوب . مات من فرط الانفعال .

موهايم : آه ، هذا شئ قد يحدث لى أنا أيضا .

شفيتر : هذا مالا نرجوه .

(ينزل من فوق الكومودينو)

شفيتر : لايمكن قلبها .

(يذهب الى السرير ، ويخلع معطف الفراء ويلقيه على السرير ثم يتمدد فيه)

شفيتر : موهايم العظيم صاحب هذه المساكن الخشبية الفظيعة ، مالك هذا الاثاث الملئ بالقمل ، وصاحب هذا السرير البشع ، هذا هو الرجل الذى كان ينقصنى في هذه اللحظة !

موهايم : (مرتبكا) : عجبا ، هل تعرفنى ؟

شفيتر : كنت قبل أربعين عاما أعيش مع زوجتي الأولى في المرسم الوضيع . كانت أمرأة قوية البدن ، شهوانية ، حمراء الشعر وجاهلة .

موهايم : مازلت أذكر هـــذا .

شفيتر : كنا آنذاك فقراء يا موهايم العظيم .

موهايم : كانت عقيلتي[1] هي التي تحب الفن ، لا أنا .

شفيتر : بل كانت تحب الفنانين .

(صمـــت)

موهايم : لحظة ، هه ، لحظة .

(يأتي بالكرسي الذي خلف المنضدة ويجلس وسط المرسم)

موهايم : الام تلمح بهذه العبارة ؟

شفيتر : لاشئ .

موهايم : انطلق .

شفيتر : كنت أحمل الى عقيلتك في أول كل شهر قيمة

---

(1) يعتقد موهايم أن كلمة « زوجة » دون مقامه ، ولذلك يستعمل كلمة عقيلة وهذا الابدال له اثره الكوميدى . (المترجم)

الأيجار ،وكنت ادخل حجرة نومها . ثم كانت تسمح لى بعد ذلك بالرجوع بمبلغ المائة فرنك .

(سكوت)

موهايم : مائـــة .

شفيتر : مائـــة .

(صمت)

موهايم : وكم من الزمن استمر هذا ؟

شفيتر : عامين .

موهايم : كل شهـــر ؟

شفيتر : كل شهر .

موهايم : لقد ماتت زوجتى منذ خمسة عشر عاما .

شفيتر : البقية في حياتك .

(موهايم ينهض ويذهب الى الكومودينو ويقلب اللوحة الى الحائط)

موهايم : من الصعب تصوير النساء .

شفيتر : اقلب اللوحات الاخرى كذلك من فضلك .

(موهايم يقلب اللوحات العارية الأخرى في صمت
ثم يصرخ فجأة)

موهايم : عجبا . هل تقول الصدق ؟

شفيتر : ولم أكذب ؟

(صمت)

موهايم : من أنـــت ؟

شفيتر : فولفجنج شفيتر .

موهايم : (مرتبكا (الحائز على جائزة نوبل ؟

شفيتر : هو بعينـــه .

موهايم : ولكن نشرة أخبار الظهر —

شفيتر : خبر سابق لأوانه .

موهايم : ثم اذاعت بعده ساعة من الموسيقى الكلاسيكيـة .

شفيتر : يؤسفنى هذا .

موهايم : ولكن لمـاذا — ؟

شفيتر : هربت من المستشفى لاموت هنا .

موهايم : لتموت هنـا

(يتلفت حواليـــــه)

موهايم : اريد أن أبل ريقــي ،

(يذهب الى المنضدة القائمة في التجويف ويعود بكوب يصب فيه شيئاً من الكونياك)

موهايم : لولم تكن الامور كلها بهذا السخف .

(يحملق أمامه)

موهايم : كل شهر .

شڤيتر : لولا هذا لمتنا من الجوع .

موهايم : وكنت تتقاضى لقاء ذلك مائة فرنك ؟

شڤيتر : مبلغ ماكنت تتنازل لى عنه .

موهايم : أنا لا أتنازل لانسان عن شئ .

(يشــــرب)

شڤيتر : ولكن زوجتى اكتشفت هذه العلاقة ، زوجتى اللئيمة . أما هى فكانت تخوننى مع الجزار وتأتى لى بأشهى شرائح فيلتو أكلتها في حياتى .

(يضحك)

شڤيتر : ثم تزوجت بعد ذلك ثلاث مرات . نساء أكثر رقة . ولكن هذا كان خطأ ، يا موهايم . وفي

النهاية تزوجت غانية من غانيات الحانات اللاتى يطلبهن الزبائن بالتلفون . وكانت أفضل زوجاتى جميعا .

موهايم : تزوجت ثلاث مرات بعد ذلك !

(يشرب)

شفيتر : اغرب عنى ، اخرج . فأنت تملأ المرسم بجو كريه منفر ، ووجودك يضخم حياتى .

موهايم : لايهمــــنى .

(يشـــرب)

موهايم : أنا في الثمانين ياشفيتر .

شفيتر : أهنئــك .

موهايم : وفي أحسن صحة .

شفيتر : هذا ما يسهل على تصوره .

موهايم : بدأت من أدنى الدرجات . كان أبى بائعا متجولا وكنت ألف على البيوت معه . وأبيع أربطة الاحذية، اربطة الاحذية يا شفيتر ، حتى انتهيت الى مقاولات المبانى الآيلة للسقوط والانقاض وأضفت اليهـا

مقاولات المبانى فيما بعد . وأنا اعترف بأننى لم أكن حساسا لينا . وهل كان همى أن أهيم بين الناس مبشراً برسالــة اجتماعية ؟ والآن وصلت الى قمة السلم . الاحزاب السياسية تحت سيطرتى . اصدقائى يخافوننى ، وأعدائى كثيرون . ولكن حياتى الخاصة

(يتناول سيجارا)

موهايم : دون حياة زوجية سعيدة لاتوجد أعمال تجاريــة هائلة بمعنى الكلمة ، ودون عاطفة يضطرب الانسان آثما في خضم الحياة ، ودون وجدان ينتهى الانسان الى الحضيض ، الى بالوعة القذارة .

(يريد أن يشعل السيجار)

شفيتر : لاتدخن وأنا أموت .

موهايم : معذرة عندك حق .

(يعيد السيجار الى العلبة)

موهايم : وكانت النساء ترتمى على قفصى الصدرى ، ولكنى لم أمكن واحدة من بلوغ مأربها . وكنت مخلصــا لزوجتى ، وظللت مخلصا لها حتى بعد موتها ،

صدقنى ، ولكننى لو كنت علمت ما أعلم الآن ،
لكنت قتلتها ، وأنت أيضا ياشفيتر ، كنت ــ
حتى الآن كنت ــ لو لم تكن

(يعود الى الجلـوس)

موهايم : فماينبغى أن يهاجم الانسان على شخص يحتضر .

شفيتر : خذ حريتـك .

موهايم : كم أود أن أمزقك إربا إربا .

شفيتر : أنا تحت أمرك .

موهايم : كم أود أن أحطمك قطعة قطعة .

شفيتر : لاتتردد في ارتكاب جريمة ضدى .

موهايم : رباه ، كم مره خانتنى ياترى ؟

شفيتر : مع عشرات من العشاق ان صح تقديرى .

(موهايم يحملق أمامه)

موهايم : لابد أنها كانت نهمـــة لاتشبع .

(أوجله تدخل ، في التاسعة عشرة ، جميلة ، تلبس ملابس سوداء ، تلهث ، زوجة شفيتر الرابعة يعتدل للجلوس وقد أخذه الفزع) .

شفيتر : الغانيـــة .

أوبلجه : شفيتر .

شفيتر : كل شئ يسير على غير ما أهوى .

أوبلجه : مازلت حيا .

شفيتر : أنا أعرف أن هذا شئ لن يلبث أن يسبب المتاعب .

أوبلجه : والقسيس أمام الباب ....

شفيتر : أصيب بسكة قلبية .

أوبلجه : أنا أغمضت عينيك بيدى .

شفيتر : مروءة منك .

أوبلجه : وعقدت يديك .

شفيتر : أنت أهل ذوق .

أوبلجه : وأمرت باحضار الزهور والباقات .

شفيتر : عندما صحوت شاهدت الترتيبات .

أوبلجه : وقبلتك قبلة الوداع .

شفيتر : من ظرفك .

(صمت)

أوبله : اعذرني ان لم احضر الا الآن — لقد أغمي على ، عندما تبينت فجأة ، انك لست — ولم يرض البروفسور شلاتر بأن —

شفيتر : فهمت .

أوبله : وكل شئ الآن على مايرام .

شفيتر : بكل تأكيد .

أوبله : سأبقى معك .

شفيتر : ياعزيزتي المحترمة أوبله . انني ملازم الفراش منذ عام كامل وأنا على وشك الموت منذ عام كامل وهم ينقذونني من الموت في آخر لحظة . هذا شئ لم أعد احتمله ولم أعد أريد المشاركة فيه. لهذا هربت من قطيع الاطباء المترمتين إلى هذا المكان الآمن بعيدا عنهم لاني أريد أخيرا أن أموت في هدوء دون أن يكون هناك ترمومتر في فمي ، دون أن أكون موصولا بجهاز من الاجهزة ، ، دون أن يكون هناك أناس يتجمهرون حولي . فاذهبي ودعيني لقد ودعتك وودعتني من زمن ، عشر مرات ،

حتّى بدأ التوديع بالتدريج شيئا مضحكا .فتعقلى من فضلك وانصرفي عنى . وداعا .

(يجذب الغطاء فوق رأسه . موهايم ينهض)

موهايم : سأذهب

(ينحنى أمام أوبلجه)

موهايم : أنا موهايم . موهايم العظـــيم .

(يذهب الى الباب)

موهايم : كم كنت أود أن أقتله . ولكنه على وشك الموت والموت شئ مقدس في نظرى .

(يخرج . بصمت . شفيتّر يظهر مرة أخرى من تحت الغطاء)

شفيتّر : (منفعلا) : أما زلت هنا ؟

أوبلجه : أنا زوجتك .

شفيتّر : بل أرملتى .

(يجلس)

شفيتّر : لم أعد أحتمل هذا الجو المهيب . افتحى الستائر .

(تطيع . المرسم يعود ثانية الى الاستضاءة بضوء الشمس الشديد)

شفيتر : افتحى النافذة .

(تطيع)

شفيتر : حذاء القسيس .

(يقذف حذاء القسيس وقبعته من الباب)

شفيتر : لقد ترك القسيس متاعه كله هنا .

(يقفل الباب بعنف محدثا ضجة)

شفيتر : اطفئى الشمعتين اللعينتين .

(تطيع)

شفيتر : جو البخور المختلط بالقدسية الكاذبة يرد إلى صحتى أريد الشمس لا موت . أريد أن اختنق في قيظها أريد أن أذوى في لهيبها . أريد أن أجف وأن استحيل إلى هشيم . فما زالت الحياة تدب بقوة في أوصالى . (يهم بالجلوس في الكرسى الوثير . يلمح حذاءه)

شفيتر : هذا حذائى . لم أعد بحاجة اليه .

(يقذف به من الشباك . ثم يجلس في الكرسى الوثير)

شفيتر : شئ مضحك . انني أعود دائما إلى هذا الكرسى .

(يريد أن يشرب)

شفيتر : فارغة .

(يعيد الزجاجة إلى المنضدة . تبدأ التوأمان في البكا)

شفيتر : أوجوسته .

(أوجوسته تظهر بالباب)

شفيتر : التوأمان تصيحان . اسرعى .

أوجوسته : حالا ياسيد شفيتر .

(تدفع سرير التوأمين إلى الخارج)

أوجوسته : سدّيا ارماسَدّ ! سَدّ ياريتا سَدّ !

(تظل بالباب واقفة)

أوجوسته : هل آخذ اللفف كذلك

شفيتر : اخرجى . هاتى كونياك . هاتى زجاجة أخرى .

أوجوسته : أمرك ياسيد شفيتر .

(تختفى)

أوبلجه : هل تحتاج إلى المعطف ؟

شفيتر : لا .

أوبلجه : هل لا زلت تتألم ؟

شفيتر : لا

أوبلجه : كان حلما قبيحا . ما كان ينبغى أن أصدق الاطباء .

شفيتر : لم يكن في امكانك غير ذلك .

أوبلجه : قالوا لى منذ عام كامل انك توشك على الموت .

شفيتر : وهذا هو ما اكتشفته أنا في تلك الاثناء رغم اخفائكم اياه .

أوبلجه : وكذلك قالوا نفس الشئ لابنك ، فنقله إلى كل غانيات البارات . وصار الجميع يتحدثون عن موتك ، بينما كنت تؤمل أن تعيش ، وصار الناس يعاملونى كما لو كنت قدمتّ فعلا ، ويجرون ورائى كما لو كنت عاهرة —

شفيتر : لقد كنت على أية حال عاهرة .

(صمت)

شفيتر : تواضعك اللعين يقضى على .

أوجه : سامحنى .

شفيتر : أرجو ألا تكونى قد رفضت الاستجابة لغزل واحد من أصدقائى تأدبا ومراعاة كاذبة منك لشعورى .

أوجه : لم استجب لاحد .

شفيتر : لم يكن واجبك أن تخلصى لى ، بل كان واجبك أن تقولى لى الحقيقة .

أوجه : كنت خائفـــة .

شفيتر : وأنا كذلك كنت خائفا . هذا الخوف الدنئ . لم أعرف الحقيقة ، لاننى كنت خائفا من معرفتها ، وإلا لحمتها ، أما الآن فأنا أعرفها لانها لم تعد قابلة للاخفاء ، وان بدنى ليفوح منه الرائحة الكريهة إلى عنان السماء .

أوجه : لم أستطع مساعدتك . كنت أرى كيف يشتد ضعفك ، كنت أرى كيف يعذبك الاطباء . ولكننى لم أكن أستطيع التقدم خطوة لفعل شيء ، كنت كالمشلولة . وسار كل شئ سيره . وفي صباح اليوم عندما كنت واقفة عند سريرك ، وكان القسيس يصلى ، والبروفسور ينحنى فوقك ويسمع

قلبك بالسماعة ، ثم اعتدل وقال انك مت ، لم أبك، فقد كنت شجاعة لانك انت كنت شجاعا . وثم هأنتذا تعيش .

شفيتر : لا تشغليني الآن بهذا الكلام السخيف .

أوبلجه : (بصوت خفيض) : لو قدر عليّ أن أفقدك مرة أخرى لما استطعت أن أعيش . (أوجوسته تظهر بالباب لاهثة)

أوجوسته : الكونياك ياسيد شفيتر .

شفيتر : جاء في وقته .

أوجوسته : نعم ياسيد شفيتر .

شفيتر : صبّى .

أوجوسته : هل آتى بكوب نظيف

شفيتر : لا داع

أوجوسته : أمرك ياسيد شفيتر .

شفيتر : إلى الحافة .

أوجوسته : أمرك ياسيد شفيتر .

شفيتر : والآن أغربى عن وجهى . بسرعة .

أوجوسته : أمرك ياسيد شفيتر .

(تختفى)

شفيتر : المخلوقة الوحيدة التى لازلت أحتملها .

(يشرب)

شفيتر : أغربى أنت أيضا عن وجهى .

أوجه : سأبقى .

شفيتر : انك تضايقيننى .

(يشرب)

أوجه : لا تفرط في الشراب .

شفيتر : الافراط في شرب الخمر مفيد في التعجيل بالموت .

(يظهر بالباب رائد جيش الخلاص فريدلى لابساً زيه ويحملق في شفيتر) .

الرائد فريدلى : انه يعيش . انه حى . انه حى .

(يختفى من جديد)

شفيتر : انه مجنـــون .

أوجه : المستشفى الفظيعة ، المرسم البشع ، القسيس الميت ـ دعنا نذهب الآن إلى البيت .

شڤيتر : هذا هو بيتي الذى أريد أن أموت فيه .

أوجه : لا ينبغي أن تموت . لست أعرف ما جرى ولكنك ستعيش .

شڤيتر : الحياة تقرفني وتنفرني . كنت خالى البال عندما بدأت أعالج الكتابة . لم يكن في رأسي سوى خواطرى ، كنت سكيرا لا مكان لى في المجتمع . ثم أتى النجاح وأتت الجوائز وجاء التقدير والمال والترف . وبدأت تصرفاتى تتحسن وتزداد تحسنا . فقلمت أظافرى ونعمتها ولمعتها وكذلك فعلت بأسلوبى . واذا كانت زوجتى الأولى قد ارتمت في أحضان خياط لتخصل لى على حلة زرقاء فقد ارتمت زوجتى الثانية والثالثة في أحضان الأدب وحده ، واشتغلنا بتنظيم شهرتى وعظمتى ، بينما كنت أنا أبذل جهدى لاصبح أديبا راسخ المكانة . وجاءت جائزة نوبل فنهضت بباقي المهمة . فالاديب الذى يضمه مجتمعنا الحاضر إلى صدره ، انسان قد فسد ولا صلاح له . ولهذا التقطتك . من فرط غيظى .

(يشرب)

شفيتر : من فرط غيظي من نفسي ، غيظي من العالم . كنت شيخا أراد أن يثور ثورة أخرى . وأنت كنت ماهرة مهارة عجيبة . فأنعشتني عدة أسابيع ، كانت متعة رائعة ، ثم انتهيت إلى النقالة ، وتحطم كل شيء ، وانتهيت . ويمكنك أن تحزمي أمتعتك وأنت مرتاحة . لقد تعلمت أشرف مهنة وجدت ، وكنت أجمل وأمهر غانية في المدينة ، فعودى إلى حرفتك فانك بذلك تقدمين لى جميلا . ولقد أصبحت بفضل زواجنا شهيرة ، نشرت صورتك في كل الصحف ، وتداول الناس صورك العارية وارتفعت اسهمك ارتفاعا لا يقدر . أنت الهدية التى أقدمها للناس . لقد أورث يوليوس قيصر الناس حدائق ، وأنا أورثهم عاهرة .

(يوخن شفيتر ، في الخامسة والثلاثين ، يدخل المرسم) .

يوخن : بابا . يا للعجب . لقد بعث من الموت .

أولجه : (ترده إلى الأدب) يوخن .

يوخن : نهارك سعيد يا امرأة أبى . يسرنى أن أراك مرة أخرى .

شفيتر : ماذا تريد هنا ؟

يوخن : (بعد تفكير) : ثروتي ، المليون ونصف .

شفيتر : ثروتك ؟

يوخن : أنا وريثك .

شفيتر : ربمـــا .

يوخن : بحكم القانون أيها الشيخ العجوز .

شفيتر : هذا شيء تعلمه أنت .

يوخن : فقد درست القانـــون في الجامعة لمـــدة فصلين دراسيين .

شفيتر : احترامي .

يوخن : هه ؟ أين المال ؟

شفيتر : في البنك .

يوخن : كذبت .

(صمت)

يوخن : استح . أخجل من نفسك . أنت في النزع الأخير .

(صمت)

يوخن : كنت لتوى في البنك . وعلمت أنك أخذت أموالك إلى المستشفى ، وليس لاموالك أثر في المستشفى الآن .

(صمت)

يوخن : شيء غير متوقع ، هه ؟

شفيتر : تماما .

يوخن : لقد انتهت امي بسببك الى الموت ،وأنا أنتهى بسببك الى ثروة .

شفيتر : أ أنت متأكد ؟

يوخن : متأكد .

(يتناول سيجارة)

أولجه : يوخن ، لايليق بك أن تدخن هنا .

يوخن : لاتزعجني يا امرأة أبي . فان زوجك العزيز اللطيف سيحتمل تدخيني السيجارة .

(يشعل السيجارة)

يوخن : هه ؟ أين المعلوم ؟

(ينفخ الدخان في وجه شفيتر)

شفيتر : في الحقيبتين .

(يشرب)

يوخن : أنت بارع في المحاورة والمناورة .

(يضع احدى الحقيبتين على المنضدة)

يوخن : ولم تقفلها بالقفل ! هذا عبط منك ياقارون !

(يفتح . تظهر عليه الدهشة)

يوخن : فارغـــــة .

(يحملق في شفيتر)

شفيتر : وكذلك الزجاجــة

يوخن (بقسوة) : شئ جميل. اذن لابد أن تسير المعركة بالسكاكين. فقد استولت حبيبتكالعاهرة على ثروتى ، على المليون ونصف .

شفيتر : هل هذا رأيك ؟

يوخن : نعم هذا رأيى .

شفيتر : لوكنت مكانك لفتشت في المدفأة .

(يوخن يقعد على الارض ويفتح المدفأة.صمت)

يوخن : (بصوت خفيض) : ورق محروق .

شفيتر : مخطوطاتى الاخيرة وثروتى ، ثروتى أنا ، المليون ونصف .

يوخن : رمـــــاد

(يخرج في ثورة عارمة ما بداخل المدفأة)

شفيتر : سأذهب لاموت نهائيا .

(ينهض ويسير بخطوات راقصـــة)

شفيتر : رائع . أنا في أروع أحوالى ، في قمة البهجة .

يوخن : لم يبق الاشئ من الجمر.

(نيفنشفاندر يطل من الباب)

نيفنشفاندر : ياسيد شفيتر

شفيتر : خزانى امتـــــلأ[1]

نيفنشفاندر : لقد نقلت الشرطة القسيس .

شفيتر : نظف ! !

---

(١) يقصد بطنه الذى امتلأ بالخمر والمصطلح الذىاستعمله مستعار من السيارات وما اليها . (المترجم)

(يقفز فوق السرير وينتزع اللفف من الحبال عنـــوة)

شفيتر : لم اللفف . انزلها من الحبل . أنزلها .

نيفنشڤاندر : حاضر ياسيد شفيتر

(يختفي مذعورا)

شفيتر : لمّهـــا . انها تذكرنى بالحياة ، بالزواج ، بالاحشاء التى تدفع بحملها الى الدنيا . لمّ هذه الخرق . لم أعد أحب أن أشم رائحة براز وبول الاطفال التى تفوح منها رطبة . أريد رائحة العفن ، اريـد هواء القبر ، أريد أنسام الابدية ١(ينتزع بعض اللفف الاخرى ، ثم يقعد ، جليلا على السرير ، كأنه بوذا)

يوخن : احـــــترقت .

(ينهض وقد امتلأت يداه بالرماد)

يوخن : الثروة ، المليون ونصف

شفيتر : كانت ظريفة وهى تحترق .

يوخن : لماذا أفنيتهـا ؟

شفيتر : لا أعرف .

يوخن : لابد أن هناك مادفعك الى هذا .

شفيتر : نزوة .

يوخن : وأنا عليّ ديـــون .

شفيتر : العاهرات المترفات يكلفن الكثير .

يوخن : فهمـــت .

(صمـــت)

يوخن : لقد لعبت بي لعبة فريدة في خبثها . كنت قـد تصرفت معتمدا على ثروتك .

شفيتر : مضاربـة خاسرة .

يوخن : على أنك لاتكرهني . كل مافي الامر انني عديم الاهمية بالنسبة اليك . ولذلك لم يهمك أن أنحدر الى الهاوية .

شفيتر : فأنا انحدر الى الهاوية كذلك .

يوخن : أنت فظيـــع .

شفيتر : الموت فظيع .

يوخن : اذن فمت ، انتـــه .

(يذهب الى الباب)

يوخن : قدم لى صنيعا . تلطف مرة أيها الشيخ ، للمرة الأولى في حياتك . مت وانته .

فسيكون لى أن أعيش ، عندما تنتهى أنت . وسأكون رجلا، نعم ، سأكون رجلا كاملا .

شفيتر : أذهب الآن .

يوخن : الى البــــار .

(يضحك)

يوخن : وعلى أية حال فقد بقيت لى النسبة المئوية في أرباح كتبك .

(يختفى)

(شفيتر يحملق في أوجله

شفيتر : أما زلت هنـــا .

أوجله : سأذهب .

شفيتر : اظن انى كنت ــــ

(يتذكر)

شفيتر : هل أفرطت في الشراب ؟

أوجه : شربت زجاجتين كونياك .

شفيتر : (يبتهج) : عظيم .

(يتأمل أوجه وهو يفكر)

شفيتر : هل كنت قاسيا ؟

أوجه : لا

شفيتر : يعنى : كنت قاسياً .

(صمت)

شفيتر : لانني أموت .

أوجه : لانك تعيش من جديد .

شفيتر : عليك يا صغيرتى أن تبحثى لك عن مصدر للدخل .

(يضحك)

شفيتر : فقد استحالت ثروتى الى ألسنة من اللهب .

أوجه : لقد حجزت جزءاً منها من قبل .

شفيتر : بطريقتك المعهودة .

(يضحك)

شفيتر : لقد عشنا عيشة جميلة معا يا صغيرتى . عدةأسابيع .

أوبلحه	: آه ، حقــــا .
شڤيتر	: كنا نضحك حتى تهتز الجدران .
أوبلحه	: كم ضحكنـا معـا .
شڤيتر	: وسكرنا حتى التوت عروق الأرض من تحتنا ؛
أوبلحه	: كم سكرنا معـا .
شڤيتر	: وكان بيننا من الحب ما زلزل الارض .
أوبلحه	: كانت حياتى معك رائعـة .
	(تخـرج)
	(شفيتر يرقد كالميت . اوجوسته تطل من الباب)
أوجوسته	: ياسيد شفيـــتر .
	(صمــت)
أوجوسته	: (بصوت أعلى) :ياسيد شفيــــتر .
شڤيتر	: أوجوستـــــه .
	(يحملق ناحية النافـذة)
أوجوسته	: اللفف ملقاة على الارض .
شڤيتر	: هذا شئ يؤسفنى .
أوجوسته	: لاتعبأ ياسيد شفيتر .

(تحضر من وراء الساتر سلة تجمع فيها اللفف)

أوجوسته : ان لك زوجة جميلة ياسيد شفيتر .

شفيتر : كانت لى .

أوجوسته : كانت تبكى وهى نازلة على السلم .

شفيتر : انها في التاسعة عشرة من عمرها .

اوجوسته : هل لى أن أسأل سؤالا ياسيد شفيتر ؟

شفيتر : اسألى .

أوجوسته : أليس لهوجو موهبة في الرسم ، هه ؟

شفيتر : لا .

(أوجوسته تضع السلة على المنضدة)

أوجوسته : لقد جمعت اللفف .

شفيتر : اقفلى الباب بالمزلاج . بسرعة .

أوجوسته : أمرك ياسيد شفيتر .

(تقفل الباب بالمزلاج)

أوجوسته : أقفلته بالمزلاج .

(لايزال يحملق ناحية النافذة)

شفيتر : اقفلى الستائر .

أوجوسته : أمرك ياسيد شفيتر .

(تطيع)

شفيتر : تعالى .

أوجوسته : أمرك ياسيد شفيتر .

(تذهب مطمئنة اليه . نيفنشفاندر يبدأ بالدق على ساقطة الباب من الخارج)

نيفنشفاندر : أوجوسته .

شفيتر : اقتربى .

أوجوسته : أمرك ياسيد شفيتر) .

(نيفنشفاندريدق)

نيفنشفاندر : أوجوسته ، افتحى .

شفيتر : أنا أرتعش .

أوجوسته : هل آتيك بمعطف الفراء

شفيتر : اخلعــى ملابسك .

أوجوسته : أمرك ياسيد شفيتر .

نيفنشفاندر : افتحى يا أوجوسته . افتحى .

(يخبط الباب بشدة)

الفصل الثاني

(مرسم نيفنشفاندر بعد ساعة . شفيتر في السرير تحت باقات الزهور ، وقد مات . حول السرير رجال يلبسون الملابس السوداء ، بينهم الناقدالشهير اللامع فريد ريش جيورجن . إلى اليسار في الكرسى الوثير كان كونراد كوبّه ناشر شفيتر ، في الخامسة والستين ، حليق الذقن ، مصقول الوجه ، أنيق . في الخلفية نيفنشفاندر وجلاوزر . أوجوسته تقف في أول الامر عند سرير الميت ، ثم تتقهقر إلى الوراء تحت دفع الحاضرين الجدد . نفر من رجال الصحافة يلفون ويدورون في المكان كالشياطين ، ويلتقطون صورا بضوء الفلاش . قفلت الستائر مرة أخرى على التجويف الخلفى في المرسم . الشمعتان تضيئان من جديد .)

فريد ريش جيورجن : أيها الاصدقاء . لقد مات فولفجنج شفيتر . ونحن اذ ننعاه ، تنعاه معنا الأمة كلها ، بل الدنيا

بأسرها ، فقد افتقرت الى رجل ، كان يغنيها .
وها هو ذا جثمانه في هذا السرير ، تحت هذه الباقات ، وبعد غد يحمل إلى القبر في احتفال مهيب يليق بحائز على جائزة نوبل . أما نحن ، أصدقاء شفيتر ، فعلينا أن نكون في حزننا اكثر تواضعا ، اكثر ثباتا ، اكثر سكونا ، . ليس لنا أن نرسل المديح الرخيص ، ونعبر عن الاعجاب المجرد عن النقد ، بل علينا أن نجعل من المعرفة والحب نبراسا لنا . فهذه هي الوسيلة الوحيدة لنوفي الميت العظيم حقه . لقد قاسى وانتهى . ولقد كان موته حدثا هز كياننا ، وليس أدل على ذلك من أننا نقف الآن في مرسمه القديم . لم تقاوم روحه ، بل كانت حيويته هي التي قاومت . لقد أصيب بنهاية مأساوية ، وكان رجلا يرفض المأساة . في هذا الضوء الكئيب ، قدّر علينا أن نراه . ربما لأول مرة في وضوح قاس ، قدر علينا أن نراه كآخر يائس في عصر يهم بالتغلب على اليأس . لم يكن يعرف الا الواقع العارى . ولهذا كان ظامئا إلى العدالة ، شديد الشوق إلى الاخاء . ولكن بلا جدوى . فان من يؤمن بالمعنى المضئ

للاشياء المظلمة هو وحده الذى يتبين أن الظلم الموجود في الدنيا شئ لا سبيل إلى التغلب عليه وهو وحده الذى يكف عن محاربته حربا لا معنى لها وهو حده الذى يتصالح معه . ولكن شفيتر ظل يرفض التصالح . فقد كان ينقصه الايمان ، وكان ينقصه بالتالى الايمان بالانسانية لقد كان صاحب مذهب في الاخلاق نابع من العدمية . وظل ثائرا متمرداً ، ثائرا متمردا في مكان مجرد من الهواء وكان أدبه تعبيرا عن ضلاله الباطنى ، ولم يكن تشبيها للواقع : كان مسرحه ، لا واقعه ، تهويلا مضحكا . هذا هو حدّه . لقد ظل شفيتر ، على نحو عظيم لا ننكره ، ذاتيا ، لم يكن فنه يأتى بالشفاء ، بل كان يأتى بالداء . أما نحن الذين نحبه ونعجب بفنه ، فعلينا الآن ان نتجاوز فنه ونقهره ليصبح درجة حتمية للوصول إلى قبول العالم الذى كان الكلب المسكين شفيتر يرفضه ، والذى نفق في روعته وانسجامه .

(كوبّه ينهض ويصافح جيورجن مستحسنا)

كوبّـــه : أشكرك يافريد ريش جيورجن .

(السادة الاخرون ينحنون أمام سرير الميت ويبتعدون ، في هذا الوقت أضواء فلاش مستمرة .)

جيورجن : أنت ناشره يا كوبّه . البقيــة في حياتك .
(ينحنى)

كوبّــه : هل ستظهر خطبتك في جريدة الصباح ؟

جيورجن : بل ستظهر في صحيفة هذا المساء .

كوبّــه : سيكون لها تأثير قوى . كان صاحب مذهب في الاخلاق نابع من العدمية ، كان ثائرا متمردا في مكان مجرد من الهواء . كان مسرحه ، لا واقعة ، تهويلا مضحكا . لقد أبدعت التعريف وأسأت التعبير .

جيورجن : بدون نية سيئة ، يا كوبّه .

كوبّــه : بل بنية سيئة مريرة ، يا جيورجن .
(يضع يده على كتفه) .

كوبّــه : كان تجردك من الحياء شيئا رائعا . لقد مزقت لى أديبنا الطيب شفيتر اربا اربا وأنت تقف وتصطنع الخشوع أمام سرير موته . لقد أخذت بمجامع القلوب . لقد انتهى الرجل من الناحية الأدبية ،

أو قل سينتهى إلى النسيان بعد أن تصدر طبعة
تذكارية واحدة من مؤلفاته على ورق رقيق .
خسارة ! لقد كان أكثر اصالة مما اعتقدت !
وهناك شئ أحب أن أقوله لك ، في السر : مع
احترامى الشديد لعمق تفكيرك يا جيورجن ، لم
تكن كلمتك الا سخفا وهراء ! فلم يحدث أن
كان شفيتر يائسا ، كان يكفى أن يقدم الانسان
اليه قطعة من اللحم المشوى الجيد وجرعة من
شراب لائق حتى يجعله سعيدا . هيا بنا .
فالمكان مرعب . وأريد أن أجمع عائلة شفيتر ،
لانى أظن أن شيئا ذا بال قد حدث .
(الاثنان يخرجان . كذلك يخرج رجال الصحافة .
أوجوسته ونيفنشفاندر والبواب يبقون)

جلاوزر : انتهينا . لنجدد الهواء .

(يفتح الستائر ويفتح الشباك . لا يزال ضوء النهار
في الخارج وضاحا . جلاوزر يطفئ الشمعتين)

جلاوزر : كم دفعوا لك يا نيفنشفاندر في سبيل أن يموت عندك

نيفنشفاندر : مائتين . ودفع الناشر عشرين .

جلاوزر : مبلغ تافه . إلى اللقاء يا سيدة أوجوسته . سيعـود النظام إلى مرسمك بعد قليل . فسيخرجون الجثة بسرعة نظرا للحرارة الشديدة .
(يختفي . نيفنشفاندر يعيد اللوحات إلى وجههـا الصحيح)

نيفنشفاندر : يا للوقاحة هكذا تقلب اللوحات إلى الحائط وكأنى من المبتدئين ويتصـادف اليـوم أن يأتى النقاد والناشرون إلى هنا — ليحملقوا في جثة ــ فلا يرون في لوحاتى شيئا . يعمل الانسان ويعمل عاما بعدعام
(يقف على الكومودينو ليصلح الصورة التى فوقها . يضطرب)

نيفنشفاندر : أوجوسته .
(يحملق في سرير الميت)

نيفنشفاند : اخلعى ملابسك . سأرسمك وأنت أمام سرير الميت . حياة وموت . جسم يتنسم الحياة وباقات جنائزية .

أوجوسته : لا .

نيفنشفاندر : أوجوسته
(يحملق فيها متعجبا)

أوجوسته : (هادئة) : لا أريد .

(نيفنشفاندر يجلس ثائرا على الكومودينو)

نيفنشفاندر : أوجوسته ، هذه هى المرة الاولى التى ترفضين فيها أن تقفى لى كموديل أرسمه .

أوجوسته : انتهينـــا .

(صمت)

نيفنشفاندر : ولكن الحياة ، ياأوجوسته : — الحياة ، أريد أن أصور الحياة فقط ، أريد أن أصور الحياة الهائلة العارمة التى لا تسمعها أذن —

أوجوسته : أعــرف هــذا .

نيفنشفاندر : (خائفا) : أوجوسته . لقد خبطت على البــاب نصف ساعة فلم تفتحى لى .

اوجوسته : أعرف هــذا

نيفنشفاندر : وكان الباب مغلقا بالمزلاج .

أوجوسته : أعــرف هــذا .

نيفنشفاندر : فلما فتحت الباب أخيرا ، كان قد مات .

أوجوسته : (بليدة) لقد مات بين ذراعى .

(تحملق في الجثة)

(صمت) .

نيفنشڤاندر : ولكن

(يظل جالسا حائرا فوق الكومودينو)

أوجوسته : انني أفخر بأنني كنت آخر عشيقة له .

(تهم بحزم متاعها)

نيفنشڤاندر : ما كان يليق أن تفعلي هـــذا يا أوجوسته ، ما كان يليق أن تفعلي هذا .

أوجوسته : ولكني فعلته .

نيفنشڤاندر : مع محتضر .

أوجوسته : كان رجـــلا .

نيفنشڤاندر : ألا تخجلين ؟

أوجوسته : لا .

نيفنشڤاندر : (يصيح) : ولكني كنت أريد أن أصور الحياة فقط .

أوجوسته : لقد قرفت من تصويرك .

نيفنشڤاندر : ولكنك كنت تؤمنين بي يا أوجوسته ، لقد كنت الانسانة الوحيدة في الدنيا التي آمنت بي ، وكنـــا متماسكين أمام الصعاب مهما

أوجوسته : لم أكن بالنسبة اليك الا موديل .

(ينهض)

أوجوسته : لقد انتهى ما بيننا .

(نيفنشفاندر ما يزال يجلس حائرا فوق الكومودينو

نيفنشفاندر : مستحيل !

أوجوسته : سأذهب .

نيفنشفاندر : وأولادنا .

أوجوسته : سآخذهم معى .

(تظل لحظة واقفة أمام سرير الميت)

نيفنشفاندر : لا يليق منك هذا يا أوجوسته .

أوجوسته : وداعــاً .

(تخــرج)

نيفنشفاندر : أوجوسته .

(يخبط على الكومودينو)

نيفنشفاندر : عودى يا أوجوسته . انني أعفو عنك .

(صمت)

نيفنشفاندر : ولكن هذا جنــون يا أوجوسته . لا يمــكن أن تهجريني . بسبب ميت .

(يعتدل شفيتر للجلوس في السرير . عليه كفن عظيم . ذقنه مربوطة . [1] وحول رقبته باقة من الزهور . يفك الرباط الذى يمسك ذقنه)

شفيتر : ليس السرير في مكانه .

(يتأمل المرسم)

نيفنشفاندر : أنت — أنت

(يحملق في شفيتر)

شفيتر : كان السرير في المكان الذى توجد به المنضدة الآن ، وكانت المنضدة في المكان الذى يوجد به السرير الآن .

(يدلى رجليه من السرير)

شفيتر : ولهذا لن أستطيع الموت أبدا .

(يخلع باقة الزهور برفعها إلى أعلى يخرج رأسه منها)

شفيتر : باقات زهور من جديد . ان باقات الزهور تتعقبنى .

(ينزل من السرير)

---

(١) يلف على راس الميت رباط ليمسك ذقنه حتى لا يظل مفتوحا ، ويبدأ هذا الرباط من فوق الراس ويغطى الاذنين ثم يعقد تحت الذقن (المترجم)

شفيتر : والآن إلى العمل . لابد أن يعود السرير إلى هناك .
(نيفنشفاندر لا يـزال جالسـا في حيرة عـلى الكومودينو)

شفيتر : لننقل أولا الكرسي والمنضدة جانبا .

نيفنشفاندر : (في يأس) : لقد عاشرت زوجتي .

شفيتر : والوزير البلجيكي عاشر زوجتي الثالثة .

نيفنشفاندر : وما شأني أنا وحكايتك التي لا تنتهي عن الوزير

شفيتر : أنت مثله . أمسك معي .
(يحمل المنضدة إلى الخلف ، نيفنشاندر يساعده
(شفيتر يشير إلى الكرسي الوثير)

نيفنشفاندر : كان خدعة لئيمة .
(يحمل الكرسي الوثير إلى الخلف)

نيفنشفاندر : كان كوميديا خبيثة خائنة . كان فخا من فخـاخ جهنم .

شفيتر : القف !
(يلقى إلى نيفنشفاندر بالكرسي كالكرة)

شفيتر : والآن جاء دور السرير .

نيفنشفاندر : لقد حطمت زواجى .

(شفيتر يذهب إلى رأس السرير)

شفيتر : أنت تشد إلى الامام وأنا أدفع من الخلف .

نيفنشفاندر : لقد هجرتنى .

شفيتر : ليس لهذا أية أهمية .

نيفنشفاندر : بل له أهمية بالنسبة لى .

شفيتر : كم أتمنى يانيفنشفاندر أن تكون لى همومك . أنا أموت بدون انقطاع ، وانتظر اللحظة بعد اللحظة في هذه الحرارة الفظيعة لأن أنحدر انحدارا كريما إلى اللانهائية ، وأشعر باليأس لأن موتى لا يريد أن يتم أبدا ، وأنت تأتينى بهذا الأمر الثانوى .

نيفنشفاندر : (هائجا) : أنا لا أمـــوت !

(يقذف بباقة زهور فوق السرير)

شفيتر : أما أنا فأمـــوت .

(يقذف باقة زهور على السرير)

نيفنشفاندر : في فراش الموت الناس يصلون ولا يغوون امرأة الغير .

شڤيتر : نيفنشفاندر . إذا كان هناك إنسان ينبغي عليه أن يصلي فهو أنت . حتّى يخلصك الرب من الرسم الذى ترسمه . تأمل لوحاتك بنفسك . حتّى الموت ذاته ينفر منها وأنا أبحث عنه منذ أتيت ، فـلا أجـده .

أنت تريد أن تصور الحياة ، فتصور زوجتك بالفرشاة وتنحط بها إلى درجة يجعل وجه الإنسان يحمر خجلا .

نيفنشفاندر : انى ارسم زوجتى لأننى اراها

شڤيتر : اذن لابد أن عماك ضخم ضخامة لا يفوقه فيها شيء آخر . تقول زوجتك ، يا نيفنشفاندر ! ! لقد رأيتها عارية عندما دخلت المرسم ، ثم رأيتها عارية عندما رقدت بجانبي . بارادتها . لم يكن هناك أدنى أثر للغواية . لقد وهبت لى نفسها عن انسانية ، عن نزوة رائعة . لأنها أحست بما يحتاج اليه المحتضر ساعدنى على نقل السرير إلى هناك .

(يدفع السرير ونيفنشفاندر يجذبه)

شڤيتر : كانت زوجتك بين ذراعى . كانت تلك هى الحياة . وليس في لوحاتك شيء من هذا . شد يانيفنشفاندر ، شد . كفى . السرير الآن في مكانه الصحيح . والآن

لننقل المنضدة .

(ينقلان المنضدة)

شڤيتر : تلطيخك اللوحات بالفرشاة ليس الا مضيعة .

نيفنشفاندر : فنى في نظرى مقدس .

شڤيتر : ليس الفن مقدسا الا في تقدير العاجزين . لقد تعلقت بأهداب نظرية لأنك لا تستطيع شيئا . لقد كانت زوجتك بين ذراعيك ميتة ، لأنها كانت ميتة في لوحاتك .

لقـــد هجـــرتك زوجتك وهى على حق . والآن الكرسى الوثير .

(: يحملان الكرسى الوثير إلى الامام ناحية اليمين)

نيفنشڤاندر : كم اتمنى أن أمزقك اربا اربا ! !

شڤيتر : أنا تحت أمرك .

نيفنشڤاندر : وأن أسحقك ذرة ذرة ! !

شڤيتر : ارتكب ضدى ما تشاء من الجرائم .

(يلقى اليه بكرسى كالكرة)

شڤيتر : القف .

(يتلفت حواليه)

شفيتر : هكذا مرسمى ! لقد عاد سيرته الأولى ! والآن يمكننى أن أموت . في هدوء ، وكرامة ، وتركيز عقلى تام .

(يذهب إلى السرير ويرقد فوق الباقات) .

شفيتر : كان السبب في عدم استطاعتى الموت هو الأثاث . رائــع ، يانيفنشفاندر . المــوت يندفع نحــوى كالقاطرة ، الابدية تصفر حول أذنى ، مخلوقات تعوى ، تصخب ، تصطدم — انه تصادم هائل ، كل

نيفنشفاندر : صل لــربك !

شفيتر : محــال .

نيفنشفاندر : سأصفى حسابى معــك .

شفيتر : تفضــل .

نيفنشفاندر : سأقتلك .

شفيتر : سأموت على أية حال .

نيفنشفاندر : سأضرب .

شفيتر : لست أمانع .

(موهايم العظيم يدخل)

موهايم : (صارخا) ارفع يدك عن انسان يموت .

نيفنشفاندر : لقد عاشر زوجتي بينما كنت أنا في الخارج أرج البـــاب .

موهايم : (هادئا) هات الحديدة .

(نيفنشفاندر يعطيه الحديدة طواعية)

موهايم : أنا الوحيد صاحب الحق في قتل شفيتر .

(يرمى الحديدة إلى الخلف)

موهايم : لن أقتلـــه .

خطوة إلى الخارج من الباب)

موهايم : (متمالكا نفسه) : لقد أخذ زوجتك بينما كنت ترج الباب . هذا يعنى انك لم تعش في الوهم . أما أنـــا فقـــد عشت في الاوهام . ظللت أربعين سنة أحب زوجتي ، أنـــا موهايم العظيم ، عمـــلاق البناء والعمارة ، فلما ماتت ، أوشكت أن أقضى نحبي .

نيفنشفاندر : ياسيد موهايم .

موهايم : كنت أحبها . أنت لا تعرف معنى هذا الكلام ، أما أنا ، أنا ابن الثمانين عاما ، فأعرفه .

نيفنشفاندر : ياسيد موهايم —

موهايم : الحياة قدرة وصراع وانتصار واذلال واجرام. وكان على أن أوسخ نفسى بهذا ، فصراع المنافسة لا يعرف الرحمة ، أكثر الناس دناءة هو الذى ينتصر ولقد كنت دائما أكثر الناس دناءة ، ولقد كانت لى القدرة على ذلك لسبب واحد وهو انى كنت أحب إنسانة حبا عارما هائــلا جديرا بأن يتمرغ الانسان من أجله في الوحل ، ثم تبين لى أخيرا أن كل شيء كان كذبا ونفاقا . أتعلم ماذا أكون ؟ أنا العوبة مضحكة طرطور .

نيفنشفاندر : لا قدر الله ياسيد موهايم —

موهايم : لماذا لا تضحك منى ؟ اضحك ! اضحك !

نيفنشفاندر : سأضحك ياسيد موهايم ، ها . . . ها . . . ها .

موهايم : ثم تأتى أنت بكبريائك الفنى وتريد أن تنتقم .

نيفنشفاندر : ياسيد موهايم —

موهايم : هذا شيء لا يقبله موهايم العظيم ، انك تخطىء التقدير خطأ فاحشا ، موهايم العظيم لا يعــرف في هذه الأمور مجالا للضحك . كل ما حدث لك

هو أنك طعنت في غرورك ، أما ما حدث لى فهو انني انتهيت ، محيــت ، سحقــت ، أصبحت اضحوكة ، شرفي تلطخ .

نيفنشفاندر : ياسيد موهايم —

موهايم : لابد أن أقضى عليك .

نيفنشفاندر : النجدة ! ياسيد موهايم . النجدة !

موهايم : لابد أن أقضى عليك .

(صخب . صرخة . سكون . موهايم يعود ببطء لاهثا ، الباب يظل مفتوحا)

موهايم : لقد رفست الحشرة رفسة أودت بها إلى أســفل السلم ممزقة .

(يفتح الياقة)

موهايم : اف من الحر !

(شفيتر ينزل من السرير مرة أخرى)

شفيتر : هناك شيء لم يزل على غير ما ينبغى أن يكون .

(يتناول باقة)

موهايم : ارم الباقات أمام الباب .

(يلقى اليه بالباقات)

شفيتر : هذه من نادى القلم .

(موهايم يلقفها)

موهايم : وراء الحشرة !

(يقذف بالباقة من الباب)

شفيتر : وهذه من الحكومة . « من الوطن الممتن لابنه العظيم »

(يلقى الى موهايم بباقات أخرى فيقذف بها موهايم خارج الباب)

شفيتر : من رئيس الدولة ، من لجنة جائزة نوبل ، من اليونسكو ، من اتحاد الكتاب ، من المسرح القومى ، من اتحاد الناشرين ، من الجمعية المسرحية ، من منتجى الافلام ، من جمعيات الكتب .

موهايم : نظفنا المرسم .

(ينظر حواليه)

شفيتر : السرير — لابد أن نقربه من الحائط قليلا .

(يحرك السرير)

موهايم : كذلك هذه اللوحات أريد أن أعيدها —

(يقلب اللوحات لتواجه الحائط)

شفينتّر : والمنضدة ــ نزحزحها قليلا ناحية الوسط والكرسيان القديمان ــ والكرسى الوثير ــ
(يعدل مكان الاثاث)

موهايم : ياشفيتّر . لقد اندفعت في أرجاء المدينة كالمجنون بعربتى الكاديلاك ، وتخطيت أنوار المرور الحمراء الواحد بعد الآخر ، مما سيؤدى الى تغريمى غرامة كبيرة ، ولو لم أكن موهايم العظيم ، لسحبت الشرطة رخصتى . ولكنى أنا موهايم العظيم . ولقد عدت الى هنا لارى جثتك وأحملق فيها . كنت أريـد أن أظل ساعات وساعات أحملق في جثتك ، وفي ذهنى خاطر من العدالة الالهية السامية ، وفي نفسى شعور بأن هناك في السماءفوقنا الهـا لهالامر والتدبير .

شفيتر : يؤسفنى هـذا .

موهايم : أنت شديد الصلابـــة .

شفيتر : يدهشنى هـــذا .

موهايم : لقد قلبت اللوحات على الحائط .
(يجلس خائر القوى في الكرسى الوثير)

موهايم : هذه أول مرة أحس فيها بأعوامي الثمانين .

شفيتر : (مسروراً) : والان ليس هناك شئ ينغصني . فلأقفز الى السرير ليأتي الموت .

موهايم : هذا ما أتمناه من كل قلبي .

(يعود شفيتر الى السرير ويتغطى)

شفيتر : لقد آن الأوان .

موهايم : من زمـان .

(شفيتر يتلفت حواليه من جديد)

شفيتر : لا أعــرف

موهايم : هل لايزال هناك ما ينقصك ؟

شفيتر : أنا بحاجة الى جومهيب ، ، هه . هل تتكرم وتضع الشمعتين بجانب السرير

موهايم : بكل تأكيـــد .

(يضع الشمعتين على الكرسيين بجانب السرير)

موهايم : هل اشعلهمـا ؟

شفيتر : نعم واقفل الستائر .

موهايم : حالا .

(يشعل الشمعتين ويقفل الستائر . يعود الجو المهيب من جديد الى المرسم)

موهايم : هــكــذا ؟

شفيتر : أنا الآن مرتـاح .

(موهايم يعود الى الجلوس في الكرسى الوثير)

موهايم : هه ، هيا مت اذن .

شفيتر : صبرك

(صمـــت)

موهايم : ماذا تريــــد ؟

شفيتر : ياموهايـــم ؟

موهايم : هيــا .

شفيتر : أنا أبذل قصارى جهـدى .

موهايم : وأنا في الانتظـار .

شفيتر : ولكنى في الحقيقة أحس بالصحة والعافيـة .

موهايم : (منزعجـا) أعوذ بالله .

شفيتر : ولكن النبض

(يجس النبض)

موهايم : هــه ؟

شفيتر : يبطئ شيئا فشيئا .

موهايم : الحمـدلله .

شفيتر : صبرك .

موهايم : ألا تريد أن تشرب خمرا ؟

شفيتر : أوجوسته .

(صمت)

شفيتر : أوجوستة . بسرعة .

(صمت)

شفيتر : (خائبا) : لا أحد يجيب .

موهايم : لقد هربت من زوجها ، من الحشرة .

(يهم باشعال سيجارة ، فيأخذه الرعب فجأة)

موهايم : معذرة . سامحنى .

شفيتر : لا ، دخن على راحتك .

موهايم : لا يليق هذا وأنت تحتضر .

شفيتر : الحقيقة انى أود أود أن أدخن سيجارا أنا أيضا .

موهايم : تفضل .

شفيتر : آخر سيجار في حياتى ، قبل أن أموت .

موهايم : مفهوم .
(يقدم اليه العلبة)

موهايم : هافانا .

شفيتر : ماركة نادرة تزداد ندرة .

موهايم : نار .

شفيتر : شكرا .

موهايم : باقة أخرى .
(يذهب إلى الباب ويقذف بالباقة ثم يقفل الباب ويعود إلى الكرسى الوثير فيجلس ويشعل السيجار)

موهايم : ياشفيتر . لقد كنت سعيدا مع زوجتى . وما كان ينبغى أن يكون لرقادها معك في السرير أية أهمية الآن .
(ينفث دخانا)

موهايم : لقد ماتت . وبصفة عامة . كل شئ يتفق بعضه مع البعض . من هذا الذى لا يخون ، ومن هذا الذى لا يتعرض للخيانة ؟ ! انها الامور تسير كما تسير الحياة في حظيرة الارانب . ولكن مع ذلك هناك

شئ له أهمية . لقد كنت مخلصا لزوجتى وكنت أعتقد أنها مخلصة لى ــ كان هذا هو نصيب حياتى من الشرف ــ ولكن موهايم العظيم كان يبنى على الرمل ، فهوى الاساس وما عليه .

(يهب واقفا ويفتت السيجار على المدفأة)

موهايم : لست اعرف الحقيقة ، ياشفيتر ، وهذا هو ما يعذبنى ويوشك أن يشرف بى على الهلاك . مع من غيرك كانت على علاقة ؟ مع مستشارى المدينة ؟ مع أعضاء لجنة المبانى ؟ مع محامى ؟ مع أطبائها ؟ مع الرجال في نادى الجولف أم مع الرجال في نادى الفروسية روتفايس ؟ مع من من الفنانين ؟ فقد كانت تعرفهم جميعا . ولماذا كان بيتنا يمتلئ كثيرا بعمال ايطاليين ؟ لماذا ؟ رباه ، مع من كانت إلفريده على علاقة ؟

شفيتر : إلفريده ؟

موهايم : إلفريده ؟

شفيتر : زوجتك كانت اسمها ماريه .

موهايم : (مندهشا) : شئ عجيب .

شفيتر : وكنتم تسكنون في شارع أماليين .

موهايم (ببرود : ياساتر . انني أسكن منذ خمسين عاما في فيللا بشارع أورنيين ، وزوجتي كان اسمها الفريده .

شفيتر : هل أنت متأكد ؟

موهايم : أنا لست معتوها .

شفيتر : شيء عجيب .
(ينفث دخانا)

شفيتر : ياموهايم ، انا لم أكن قط على علاقة بأمرأة اسمها الفريـــدة والظاهر انني خلطت بين عقيلتك وبين زوجة صاحب أملاك آخر في حارة بيرتولد ، كنت أسكن عنده .

موهايم : انك تسخر مني ؟

شفيتر : لقد كانت زوجتك مخلصة لك .

موهايم : سبحان الله !

شفيتر : (وهو يفكر مرتابا) : ولكن في الحقيقة — اسمها لم يكن ماريه — (يجلس ويستمر في نفث الدخان)

شفيتر : في ساعة الاحتضار هذه تضطرب الاشياء كلها في نفسى .

(يدلى رجليه خارج السرير)

شفيتر : موهايم ، ربما كانت عقيلتك ارجمارد هى

موهايم : إلفريده .

شفيتر : أنا على أية حال أتذكر تمثالين حجريين لاسدين كانا قابعين أمام بيتك في شارع أورانيين .

موهايم (يزأر : ليس لدى أسود . ولم يحدث قط أن كان لدى أسود

شفيتر : لم يكن لديك أسود ؟ شئ عجيب .

(يدخل في المرسم مفتش المباحث الجنائية شافروت [1] والبروفسور شلاتر . البروفسور يلبس نظارة ويحمل حقيبة الاطباء الصغيرة . ثم يدخل بعدهما شرطيان وجلاوزر ويحمل ثلاثتهم الباقات التى كان موهايم قد قذف بها إلى الخارج)

المفتش : في بئر السلم تحت رجل راقد . هو الفنان الرسام هوجو نيفنشفاندر . متزوج أب لطفلتين .

(صمت . موهايم يلتفت إلى المفتش)

---

(1) اسم مضحك معناه « احمر كالخروف » المترجم

موهايم : أنا موهايم . موهايم العظيم .

المفتش : السيد موهايم ؟

موهايم : لقد رفست هذه الحشرة رفسة مزقتها وأودت بها إلى أسفل السلم .

(صمت)

جلاوزر : ياللمصيبة ! ياللمصيبة !

(صمت)

المفتش : ضعوا الباقات عند الحائط .

الشرطى الأول : أمرك ياسيادة المفتش .

جلاوزر : والسيد شفيتّر بعث من الموت .

(يضع الثلاثة ـــ الشرطيان وجلاوزر ـــ الباقات على الحائط)

الشرطى الثانى : وضعناها عند الحائط ياسيادة المفتش .

المفتش : أنا المفتش شافروت من المباحث الجنائية . أرجوك أن تأتى معى . والافضل أن نركب سيارتك ياسيد موهايم .

موهايم : لماذا ؟

(صمت)

شلاتر : أنا البروفسور شلاتر من المستشفى الحكومى ياسيد موهايم .

موهايم : وما شأنى بكم ؟

(صمت)

شلاتر : مات الرجل .

(صمت)

موهايم (مضطربا) : ولكنى كنت رفيقا جدا ــ ــ

(صمت)

موهايم (بصوت خفيض) : مات .

جلاوزر : هذا هو الميت الثانى في عصر هذا اليوم ، ياسيد موهايم .

(موهايم يلتفت إلى شفيتر الذى يستمر في نفث الدخان)

موهايم : (وقد أسقط في يده) شفيتر ، لقد قتلت انسانا .

(المفتش يعطى اشارة إلى الشرطيين فيتقدمان إلى موهايم)

موهايم : شفيتر . أنت تصارع الموت . روحك في صعيد آخر . نحن لا أهمية لنا لديك . ومع ذلك . أريد

أن أتأكد . هل زوجتي — معك —

(شفيتر يستمر في نفث الدخان هادئ البال)

شفيتر : لا أعرف

موهايم : شفيتر . انني أستطيع احتمال الكثير . ولكن — لا يليق أن أكون قد قتلت انسانا لغير ما سبب —

شفيتر : الحقيقــة —

موهايم : أريد أن أعرفها .

شفيتر : موهايــم .

(يتهلل)

شفيتر : تذكــرت .

(يضحك)

شفيتر : الحكاية مختلفة ياموهايم .

موهايم : (فاقد السيطرة على نفسه) : مختلفة ؟

شفيتر : تخيلتها وأنا في صراع الموت . شئ يكاد المرء لا يصدقه ، لقد تخيلت قصة من قصصي كأنها حقيقة . كنت أخرف ، ياموهايم ، كنت أخرف ، لقد كنت أسدد الايجار ، المائة فرنك ، في الموعد

في أول كل شهر بانتظام ، بطريق البريد ولم أعتل قط فراش قريتك .

موهايم (لايفهم) : لم يحدث قط — —

شفيتر : قصة زوجتي الأولى مع بائع الخمور هى الحقيقة .

موهايم : ولكنك كنت تتحدث عن جزار .

شفيتر : جزار ؟ هذا جائز أيضا .

موهايم : قصة كاذبة مختلقة مقرفة .

شفيتر : مضحكة للغاية

(موهايم يصرخ)

موهايم : الحديدة . الحديدة .

(الشرطيان يمسكانه بقوة . موهايم يهدأ فجأة ويعود إلى وقاره)

موهايم : معذرة ! فقدت السيطرة على نفسى .

المفتش : عفــوا .

موهايم : شفيتر .

شفيتر : نعم ياموهايم العظيم .

موهايم : لماذا قضيت على ؟

شفيتر : مصادفة .

موهايم : (حائرا) أنا – ولكنى لم أضرك بشيء .

شفيتر : وقعت في سكة موتي

(صمت)

موهايم : موهايم العظيم رجل مسن ، طاعن في السن ، عتيق .

المفتش : لنذهب الآن .

موهايم : هيا بنا .

(الشرطة تخرج به)

شلاتر : شيئا من الهواء والنور في هذه الزريبة .

(يفتح الستائر عنـــوة ، يفتح الشباك ، يطفىء الشمعتين) .

شفيتر : (مكتئبا) مازلت حيا .

شلاتر : هذه واقعة أعرف بصفتى طبيبا كيف أقدر غرابتها . لقد تبينت مرتين متتاليتين أنك مت ، وهـــأنتذا تدخن سيجارا .

شفيتر : لست مسئولا عن تشخيصاتك الخاطئة .

شلاتر : تشخيصاتى الخاطئة !

(يفتح حقيبته الصغيرة)

شلاتر : ياعزيزى ، لم تكن تشخيصاتى في حالتك خاطئة .

شفيتر : ولكنى على أية حال لست ميتا .

شلاتر : بعبارة أدق : لم تعد ميتا .

شفيتر : عسى ألا تكون قد نويت على إقناعى بأننى بعثت من الموت .

شلاتر : لن أقدم اليك بطبيعة الحال وجبة من التعليلات اللاهوتية لتلتهمها .

شفيتر : فضيحة ، اننى لا أزال أعيش .

شلاتر : هذا شيء ينبغى أن يقال ياعزيزى

(يخرج السماعة من الحقيبة ويجلس إلى المنضدة) .

شلاتر : لنفحصك مرة أخرى . تعال .

(شفيتر يضع السيجار على المدفأة ويقف أمام شلاتر) .

شلاتر : لنجس النبض أولا .

شفيتر : كان بطيئا منذ قليل .

شلاتر : أسند غطاء الجهاز .

(شفيتر يفعل)

شلاتر : عجيب .

(يحملق فيه غير مصدق)

شلاتر : أكشف صدرك .

(يفحصه بالسماعة)

شلاتر : خذ نفسا عميقا . مرة ثانية .

(شفيتر يتنفس بعمق)

شلاتر : كح .

(شفيتر يكح)

شلاتر : ربـــاه .

(يحملق فيه غير مصدق)

شلاتر : أجلس .

(شفيتر يجلس على الكرسى الوثير)

شلاتر : ياترى كيف حال ضغط الدم .

(يلف حول ذراعه جهاز الكشف على ضغـــط الدم ويقيس)

شلاتر : أغثنى يا إله الطب ، أدركنى ! !

(يقيس)

شلاتر : عرق الخوف يتصبب منى .

(يحملق أمامه)

شفيتر : انتهيت من الفحص ؟

شلاتر : انتهيت .

(يعيد جهاز الكشف على ضغط الدم والسماعة إلى الحقيبة . شفيتر ينهض)

شلاتر : الدنيا حر .

(يمسح نظارته)

شلاتر : كأن الشمس لا تغيب أبدا .

شفيتر : هذا أطول يوم .

شلاتر : هذا يوم القيامة .

(يلبس النظارة مرة ثانية)

شلاتر : بالنسبة لنا رجال الطب . ياصديقى العزيز لقد أتيت أصلا للتحفظ على جثتك الكريمة .

شفيتر : هذا ما فهمته .

شلاتر : ولكنك لم تمت بعد .

شفيتر : هكذا تفقد الصبر أنت كذلك .

شلاتر : ياعزيزى ، لقد منى الطب بأعظم فشل في هــذا القرن. دقات قلبك وصوت رئتيك عـلى أحسن ما يــرام .

(صمت »

شلاتر : حالتى أنا يرثى لها .

(صمت)

شلاتر : فظيعة ، مريعة .

(ينهض)

شلاتر : كذلك ضغط دمك يكاد يكون مثاليا .

شفيتر : هذا كذب . أنا أتعفن ، أتأكل . أنا في الـــرمق الأخير .

شلاتر : جسمك فريد في نوعه .

شفيتر : أنت كذاب .

شلاتر : أيها الاستاذ الجليل إذا لم تصدقنى الآن —

شفيتر : كنت دائما تكذب وتكذب .

شلاتر : أنا طبيب جراح .

شلاتر : سنجرى لك يا عزيزى عملية واحدة أخيرة تتغلب بها على ما بك نهائيا ، ضربة واحدة بالمشرط يا أيها الاستاذ الجليل ، وتنتهى من أصل الداء ، سنجرى لك يا حبيبي علاجا أخيرا فتصبح كما كنت في أحسن حال .

شلاتر : لقد كان الكذب في حالتك البائسة ، في المصيبة التى حلت بك ، أمرا بسيطا تفرضه الانسانية .

شفيتر : لا أصدق كلمة واحدة مما تقول .

شلاتر : لم يعد هناك ، من الناحية الاخلاقية ، ســبب واحد للكذب عليك .

شفيتر : (يصرخ) أنا أموت .

شلاتر : ستموت يوما ما .

شفيتر : بل الآن .

(صمت)

شفيتر : أنا أنتظر الموت منذ ساعات .

شلاتر : وأنا أنتظر موتك منذ شهور ، وإذا بالحركة الثعبانية لمصارينك تعود إلى الانتفاض من جديد .

(الناشر كوبّه يدخل المرسم حاملا باقة من الزهور ، يدهش) .

كوبّه : ماذا جرى ! ! شفيتّر ! !

(شفيتّر يقفز إلى السرير)

كوبّه : بووفسور شلاتر ، انه يحيا من جديد !

شلاتر : حياة عجيبة . .

كوبّه : رباه ! هل يمكنك أن تشرح لى —

شلاتر : ليس هناك ما أستطيع شرحه .

كوبّه : ولكنك أعلنت وفاته .

شلاتر : بكل تأكيد .

كوبّه : مرتين متتاليتين في حضورى .

شلاتر : لأنه مات مرتين متتاليتين .

كوبّه : هذا شيء عبقرى .

شفيتّر : ليس من العبقرية في شيء ، بل هو شيء دنيء جدا .

كوبّه : والحقيقة انني مستعجل جدا . وقد أتيت في زيارة خاطفة . والله يعلم انني اعتدت أن أقاسى الكثير من المؤلفين الذين أنشر لهم ، ولكن مافعلته بى

يافولفجنج ، شيء لم يطرأ على من قبل قط . كيف تفعل هذا ، خبرنى ؟

شڤيتر : لا أعـــرف .

كوبّه : اسمح لى بالجلوس إلى جوارك .

(يضع الباقة بجانب المدفأة)

كوبّه : باقة الزهور هذه منى أنا . شخصيا .

(يجلس إلى شفيتر ، على حافة السرير

كوبّه : لحظة حتى ألتقط أنفاسى . فلابد أن أعجل لألحق مواعيدى . عندي المأدبـــة التي يقيمها الناشرون ، وموعد في الجمعية المسرحية ، وموعد في مؤسسة جوتفريد كيللر – أنت تدخن .

شڤيتر : سيجارى الأخير .

كوبّه : شيء عبقرى . تصور أننى أغمضت عينيك مرة في هذا المرسم .

شڤيتر : من ذوقك .

كوبّه : وعقدت يديك .

شڤيتر : من أدبك .

كوبّه : ونظمت الزهور والباقات .

شڤيتر : من لطـفك .

كوبّه : لكن قل لى، هل غيرت وضع الاثاث هنا بنفسك ؟

شڤيتر : بنفســـــى

كوبّه : رائع . لقد قابلت لتوى ابنك في البار ، وادعـى أنك احرقت آخر مخطوطاتك .

شڤيتر : كانت عديمة القيمـــــة .

كوبّه : وأنك اشعلت النار في مليون ونصف .

شڤيتر : كنت أرتعش من البرد .

كوبّه : شـئ عبقرى .

شڤيتر : كان لك فيها ثلاثمائة ألف .

كوبّه : لابل خمسمائة ألف . رائع . يعنى أن دار نشرى احترقت في اللهب .

شڤيتر : هل أنهـــارت . ؟

كوبّه : انهارت تمامـا .

شڤيتر : ولهذا أتيـــت ؟

كوبّه : لايا عزيزى ، فما كنت أتصور حقيقة أننى أتحدث اليك مرة في هذه الحياة . انما أتيت لامضى دقيقة هادئة قريبا من صديقى الميت . هذا كل ما في الامر . والآن لا بد أن أنصرف سريعاً . فلأصافحك للمرة الاخيرة يافولفجنج . هل تموت فعــلا ؟

شڤيتر : فعــلا .

كوبّه : هل أنت متأكـد ؟

شڤيتر : تمام التأكـــد .

كوبّه : والا كان من الممكن أن نؤول أمرك تأويلا مسيحيا ونكسب من وراء ذلك من المال ما ينقذ دارى من الخراب .

شڤيتر : مستحيل

كوبّه : فلننتظـــــر .

(ينهــض)

كوبّه : لوكنت في مكانك لساورتنى الريبة شيئا فشيئا . لقد أصبح الموت في حالتك ابقاء على الروح ، فانك تموت بهمة لاقبل لأحد بها . وأنت اذتموت

تعيش ، أفلا يلوح لك هذا شيئا رهيبا ؟ عليك يافولفجنج أن تجرب الحياة من جديد ، على الاقل طالما كنت على قيد الحياة ، أما الآن فلابد أن أنصرف مسرعا . بغاية السرعة . أن الرعب ليتملكني حيالك يابروفسور . حقيقة انني اكن لفنك كل الاحترام ، ولكنني أعتقد أنك في هذه المرة قد ارتكبت أخطاء فاحشة فتاكة .

(يخرج . شفيتر ينهض ، ويرمى السيجار في المدفـــــأة)

شفيتر : لابد أن ننتهى الى نهاية. اعطنى حقنة .

(يرتمى على السرير من جديد ، وينقلب على بطنـــــه)

شفيتر : حالى بدأت تصبح بائسة تثير الشفقة .

(شلاتر يحملق فيه)

كوبـّه : لو أنني ! آه لو انني ! ! أو شككت يا عزيزى مرات لاتحصى على أن أحقنك بجرعة مميتة ، رحمة بك . ولو انى فعلت لما لامنى أحد . فقد كنت أجمل حالة ميئوس منها عرضت لى على سرير العمليات .

شلاتو : ولكن بدلا من أن أجعلك تموت ، ركبني الشيطان
: فرحت أكافح من أجل أن أن تعيش . وبقيت أياما وأياما لا أعرف حلا أو مخرجا . أوصلتك بالكلية الصناعية ، ركبت في بطنك مصارين من البلاستيك. وملأت رئيتيك بغاز سام . ولوثتك بالنظائر المشعة . ولم أكن أؤمن بأنك ستشفى ، وهذا هو العنصر التراجيدى في الموضوع . كنت متشبثا تشبثا أعمى بألا تموت ، بألا تخرج من الدنيا ، ولكنى مع ذلك كنت متأكدا تمام التأكيد من أن حالتك ميئوس منها تماما ، ولو سمعت واحداً من مساعدى يقول أن هناك سبيلا لانقاذك لألقيت به خارج المستشفى بيدى هذه .

شفيتر : أعطنى الحقنة أرجوك .

شلاتو : هل أنت في كامل قواك العقلية .

شفيتر : أتوسل اليك .

شلاتو : محـــال .

شفيتر : تخوفك لامبرر لـــه .

شلاتو : تخوفي ؟ يا سيدى الاجل ، لقد أوتيت من الدناءة

ما جعلك لاتموت ، فليكن لديك الآن على الاقل من الشرف ما يحملك على فهم موقفى . لو أننى أعطيتك في المستشفى الحقنة المميتة ،، لكنت في القبر منذ زمن . ولو اننى أعطيتك الآن الحقنة المميتة لوضعتنى أنا النيابة في القبر . ألا تفهم موقفى الذى لاخيار لى فيه ؟

(يثــور)

شلاتر : شئ فظيع . العلماء والمفكرون يوقنون بعجزى المضحك المخزى ، والمؤمنون يوقنون بأنك بعثت من الموت ، هذه هى المصيبة ياهذا ان كنت تقدر . هؤلاء يرون أن الغباء حل بى ، أولئك يرون أن الله أصابنى بالخزى ، وأنا بين هؤلاء وهؤلاء قد فقدت ماء وجهى .

(يجلس الى المائـدة)

شلاتر : من نحسى أن الميت الذى صحا ، بعد أن أعلنت أنه قد مات ، أديب حاصل على جائزة نوبـل وزير الصحة اتصل بى تلفونيا ووبخنى وشتمنى ، ووزير الثقافة ثار على ولم يهدأ الا بعد أن وعدته وعدا أكيدا بأنك ستموت عصر هذا اليوم : وها هو ذا ينتظر بخطبة التأبين وبالجنازة الرسمية .

فضيحة هائلة . وكل شئ يقع على رأسى أنا . أنا الذى منحت الدنيا من تصميمى جفت التهشيم المعروف باسمى ، جفت شلاتر ، وأدخلت تحسينا على المنشار الذى تنشر به العظام ، البس معطفك .

شڤيتر : لمـــاذا ؟

شلاتر : لتأتى الى المستشفى معى على قدميك .

شڤيتر : الى المستشفى ؟

شلاتر : نعم الى المستشفى ياعزيزى .

شڤيتر : وما ذا أفعل هنـــاك ؟

شلاتر : هناك سأفكك قطعة قطعة على طريقة المستشفيات ، حتى تفقد السمع والبصر . أريد أن أدرس عليك حالات الحياة بعد الموت دراسة دقيقة . وأناأشك في أنك تعيش بمعنى الكلمة ، وأعتقد أن هذا الذى يبدو في حالتك كأنه حياة ، ليس الاظاهرة عصبيـــــة .

شڤيتر : اذن فستعود المذبحة من جديد .

شلاتر : ليس هناك وسيلة أخرى لرد كرامتى . فالانتظار

كلها مركزة على . اذا لم آثبت بالبرهان أنك مت مرتين ، فلن يكون لى عيش حتى ولابين الهمج .

شفيتر : فالدناءة تزداد .

شلاتر : تعال معى بسرعـــة .

شفيتر : حتى تستأنف تعذيبى .

شلاتر : لكى أشفيك في النهاية . أشفيك نهائياً . ولاتخشى شيئا . حالتك العامة عظيمة ، جديرة بأن يتغنى بمدحها المغنون . أما ما عداها ، هه . المعدة ، لابد من قطعها ، كما قلت دائما . فاذا أوصلنا المرىء بالامعاء الدقيقة مباشرة ، لم يؤد هذا الى تحسن وقتى فحسب ، بل يجعل التحسن الدائم في حيز الامكان . تشجع أيها الاستاذ الجليل . ليس هذا وقت التردد . حتى أنا أصبحت متفائلا .

(صمـــت)

شفيتر : لا .

شلاتر : شفيـــــتر .

شفيتر : لا أريد أن أعـــود الى الأمل .

شلاتر : رباه ، بل من حقك أن تأمل .

شفيتر : لقد داعبت الأمل بما فيه الكفاية . وأنا الآن أهزأ من الأمل .

(صمت)

شلاتر : هل معنى هذا ——

(ينهض)

شلاتر : أيها الاستاذ المبجل . انى في حيرة . انى كمن هوى من السماء الى الارض .أترفض الذهاب معى ؟

شفيتر : دعنى وحدى .

(يسحب الغطاء فوقه)

شلاتر : لقد سرت في ظهرى قشعريرة باردة كالثلج . قصارى جهدى من أجل حياتك ، وأنت تخذلنى .

شفيتر : بل أنت الذى تخذلنى .

شلاتر : ياسيد شفيتر ——

(صمت)

شلاتر : لايليق بك أن تطردنى .

شفيتر : اخرج ، اغرب عنى .

شلاتر : أنا طبيب ، وقد فقدت ثقة مرضاى ، فامنحنى فرصة أخيرة .

شفيتر : لم تعد هناك أية فرصة لاالك ولالى .

شلاتر : أنت تحطمنى .

شفيتر : ربمـــا .

شلاتر : ولست أحتمل هذا الاذلال .

شفيتر : جائــز .

شلاتر : سأنهــى حياتى .

شفيتر : ممــكن .

شلاتر : أتوسل اليك .

شفيتر : أرجو أن أعيش اللحظات الاخيرة من حياتى بعيدا عن وجهك .

(صمــت)

شلاتر : ان جنون موتك ليقضى على حياتى أنا الآن أيضا .

(السيدة نومزن تظهر بالبـــاب ، وهى بدينة ، صلبة ، تلبس ثوبا أسود اللون ، على رأسها قبعة ، في يدها قرنفل أبيض) .

نومزن : سبحان الله .

شفيتر : ومن تكونين أنت أيضا ؟

نومزن : السيد شفيتر ! هذا أمر يحيرنى ! هذا ما لم أكن أتوقعه . بعد اذنكم يا حضرات السادة ، أريد أن أجلس ، فأنا امرأة متقدمة في السن ، على طريق الجبانة ، ناضجة ، ناضجة أكثر من اللازم ، والتعب الذى سببه لى طلوع السلم ، وهـــول المفاجأة

(تتقدم إلى الأمام بخطوات ، كخطوات البطة) .

السيدة نومزن : أحب الجلوس على كرسى خشن : وأنا في فندق بيللفو أجلس على كرسى خشن .

(تجلس)

السيده نومزن : أنا خدامة المراحيض في الفندق ، ياسيد شفيتر ، ولهذا أعرفك . فأنا من مكان جلوسى هناك أكشف مراحيض السيدات ومراحيض الرجال . رباه ! ما أشد الألم الذى أحس به في رجلى . فيهمـــا ورم .

(تدلك رجليها)

شلاتر : لقد حانت نهايتى !

(يخرج من الباب مترنحا) .

السيدة نومزن : هذا الذى خرج الآن هو البروفسور شلاتر . أعرفه أيضا .

شفيتر : أخرجى بالتى هى أحسن والا استعملت يداى .

السيدة نومزن : لقد أحضرت لك معى زهورا .

شفيتر : لا أريدها .

السيدة نومزن : خذها ولا تخجل ، فلم تكلفنى شيئا . أنا أحصل على ما أريد من الزهور من حفار القبور ، وهو يسرقها من الجبانة ، طازجة برائحة القبر . كنت أريد أن أضع القرنفل على فراش موتك يا سيد شفيتر ، فأنا مولعة برؤية الجثث ، ولكنك لم تمت . بل على العكس . إنك تبدو كوليد جديد ، يمتلىء بالحيوية ، هذا هو الوصف الصحيح لحالك . عندما رأيتك للمرة الأخيرة في فندق بيللفو كنت تبدو شاحبا متورم الوجه ، ولكن الاضاءة بطبيعة الحال خافتة . هه ، تفضل .

(تقدم اليه الزهور غاضبة)

شفيتر : (غاضبا) لا أظن أنك أتيت إلى هنا لاعجابك بمؤلفاتى .

السيدة نومزن : هذا سبب من أسباب حضورى ياسيد شفيتر . فأنا أتردد من حين لآخر على حفلات المسرح الشعبية وأرى أن مسرحياتك تنم عن موهبة رفيعة .

شفيتر : (بغلظة) : أرمى الخضار الذى في يدك على الباقات هناك وأخرجى من هنا .

(ترمى الزهور إلى الخلف)

السيدة نومزن : أنا السيدة نومزن . السيدة فبلهلمينه نومزن ، أم أوجله . يعنى أنت زوج ابنتى .

شفيتر : لم تحك لى الصغيرة شيئا عنك .

السيدة نومزن : هذا ما ارجوه . فقد حرمت عليها أن تشير إلىّ في حديثها أدنى إشارة . فلو علم أحد أن أمها خادمة مراحيض لأثر هذا على طريقها في الحياة تأثيرا بالغ الضرر ، لأن الرجال حساسون جدا في هذا الموضوع ، خاصة إذا كان الرجل المقصود حاصلا على جائزة نوبل — لا ياسيد شفيتر ، هذا شيء ما كنا نحب أن نثقل به عليك ، كنت أفضل أن أعجب بك من بعيد ، في صمت —— أنا مندهشة

جدا للصحة التى تبدو عليك . انك كالز هــرة
المتفتحة . ومع ذلك فقد اعتقدت أوبلجـــه إنك
تمــوت .

شفيتر : أنت تخطئين خطأ جسيما في حكمك على صحتى .

(يعتدل) .

شفيتر : هل تتكرمين على إنسان على وشك الموت بتحقيق
رغبة أخيرة ، اشعلى الشمعتين وأسدلى الستائر قبل
أن تنصرفي .

السيدة نومزن : لك هذا من كل قلبى ، ياسيد شفيتر ، من كل
قلبى . ولكن كيف أقف ياسيد شفيتر ، من مكانى
هذا — لا . أنا امرأة عجوزة مريضة ، وأنت ترى
بنفسك انى أتنفس بصعوبة .

(تتنفس بصعوبة)

شفيتر : لا بأس . إذن فلأقدم أنا بنفسى لنفسى هذا الجميل .
(ينهض ، يشعل الشمعتين ، يسدل الستائــر .
يتحول جو المرسم مرة أخرى إلى جو مهيب) .

السيدة نومزن : أما السبب الذى أتيت من أجله إلى هنا ياسيد شفيتر
فهو أن أوبلجه ماتت .

(شفيتر يحملق فيها)

شفيتر : أوبجه ؟

السيدة نومزن : (موضوعية) : لقد تناولت ابنتى السم في مسكنى ، ياسيدى ، لأنها كانت قبل الزواج بك طبعا ، على علاقة بصيدلى .

(شفيتر يجلس ببطء على حافة السرير)

شفيتر : خبر لم أكن أتوقعه .

السيدة نومزن : ولابد أنها ماتت على الفور . وقد وجدت في حقيبة يدها عنوان هذا المرسم .

شفيتر : هذا شيء يحزننى ياسيدة .ـ

السيدة نومزن : نومزن . كان أبى فرنسيا ، كان اسمه دى ـ دى ـ المهم اسمه كان اسما فرنسيا على أية حال .. كذلك كان أب أوبجه فرنسيا ، أما ماذا كان اسمه ، فهذا ما لا أعرفه ، كذلك اسماء آباء ابنتى اتجه وابنى فالديمار لا اعرفها . والمهم أن تأتى الاسرة إلى الدنيا على نحو منطقى منسجم ، وأن يبتعد الانسان عن الخلط والتشكيل والاستسلام للخيال .

(تتنفس بصعوبة)

السيدة نومزن : آه ياقلبي . الهواء في فندق البيلفو حيث أعمل ليس مثاليا على أية حال ، على الرغم من جهاز التكييف . نفسى ينقطع .

(تفتح حقيبة يدها)

السيدة نومزن : لا تتعب نفسك . سأبلع قرصا .

شفيتر : طبعـــاً .

(يذهب إلى الخلفية ويعود بكوب من الماء)

شفيتر : تفضلى .

(السيدة نومزن تبلع قرصا ، وتشرب قليلا من المـــاء)

السيدة نومزن : ولا شك أنك تعرف ابنتى انجه أيضا .

شفيتر : ربما كنت أعرفها دون علم منى .

السيدة نومزن : تظهر في الكباريهات تحت إسم انجه فون بيللو .

شفيتر : أتذكر هذا الاسم تذكرا غامضا .

السيدة نومزن : أنت لا تتذكر الاسم غامضا . أنت تعنى صدرها الرائع . انجه نجمة ستربتيز لها شهرة عالمية . وكذلك فالديمار نما نموا طيبا . كان وهو صغير صبيـــا

لطيفا ، هادئا نوعا وحالما تائها ، ولكنى أنا أيضا كنت كذلك حالمة تائهة . وقد عنيت بتربيته عناية خاصة ، فأرسلته إلى المدرسة الثانوية التجـارية ، فلما اشتغل في شركة هيفليجر[1] وشركاه ارتكب جريمة اختلاس . والحقيقة انني لست ضد المجرمين ، فقد كانت أمي مجرمة ، كذلك كان أبي على قدر ما علمت مجرما ، ولكني لا أرى أن الانسان يحتاج إلى الذهاب إلى المدرسة ليصبح مجرمـا ، يكفي أن يكون للانسان فطنة فطرية . الانسـان يحتاج إلى المدارس وتربيتها ليتمكن من عقـد صفقات أكبر بمخاطر أقل مما يعرض في حالـة الجرائم . النهاية ! عما قريب تنتهى السنوات الاربع ويخرج من السجن . في سبتمبر . ولن يذهب إلى الجيش ، فالجيش لحسن الحظ لا يجند المجرمين .

شڤيتر : ياسيدة مومزن

السيدة نومزن : نومزن ، لا مومزن . شيء مضحك . كثير مـن الناس ينادونني مومزن . حتى المدير في بيللفـو يناديني مومزن . فهو أحيانا يضل الطريق وينزل

---

(1) Häfligen

إلى المراحيض عندى ، بالرغم من أن له بيت راحة خاص به – رباه ، ظهرى يؤلمنى . الجلوس الدائم طول العمر ، وتيار الهواء ، والرطوبة – حقيقة أن عوازل الرطوبة في فندق بيللفو في المراحيض عندى تحت جيدة تامة ، ولكن شد السيفون باستمرار يجعل التركيبات الصحية بمرور الوقت رطبة – الأفضل أن أنتقل إلى الجلوس في هذا الكرسى الوثير . (تنهض بصعوبة شديدة)

شفيتر : أسمحى لى بأن أساعدك .

السيدة نومزن : أفضل ألا تفعل . فأنت حائز على جائزة نوبل ، وأنا خادمة مراحيض ، هناك عوالم بأسرها تباعد بيننا ، ولابد أن تبقى الكلفة .

(تسير كالبطة إلى الكرسى الوثير ، تجلس ، تعقد يديها ، تتنفس بصعوبة ثم تغمض عينيها)

شفيتر : هل تضايقك الشمعتان ؟

السيدة نومزن : دعهما مشتعلتين . فإنهما تضيئان اضاءة كاضاءة بيللفو قبل التجديد .

شفيتر : الجو حار رطب .

السيدة نومزن : ولكنى ارتعش من البرد .

(شفيتر يغطى ساقيها بمعطف الفراء)

السيدة نومزن : (تستند إلى الوراء وكأنها في العالم الآخر) : ياسيد شفيتر ، هناك شيء أريد أن أوكده مرة أخرى ، خبر موتك الكاذب هو الذى جمعنا على هذا النجو الفظيع المفجع . أما وقد حدثت المصيبة ، فلابد أن أستجوبك .

(شفيتر يجلس من جديد فوق السرير)

السيدة نومزن : (بعظمة) : لقد أعددت أوجله لمهنتها بضمير حي.فلم تلق من الصعاب ما لاقيت أنا . ولم تتعرض لما تتعرض له مثيلاتها من متاعب الطريق التقليدية، لقد كان عليّ أن أبذل الجهد الجهيد الدائب لأصل إلى ماوصلت اليه، وإذا كنت في السن المتقدمة التى بلغتها الآن أعمل خادمة مراحيض ، فليس ذلك الا ضرورة طبيعية يفرضها تكتيل العمل : فأنا أعيش من العناوين التى أقدمها للرجال وما عليك الا أن تنزل في فنـــدق بيللفولترى ، البواب يحصل منى على عشرين في المائة لقاء تحويل الزبائن إليّ ، والبنات على ثلاثين في المائة لقاء تقديمى عناوينهن ، والباقي لى . وهكذا

ترى أننى لست ضد العدالة الاجتماعية . أما أوجله فلأنها ابنتى ، كنت أترك لها ثمانين في المائة ، وبطبيعة الحال لم أكن أعطى البواب شيئا ، لأن أوجله كان لها شقة لطيفة . ثم كان أن تزوجت الجاحدة .

(شفيتر يريد أن يقول شيئاً ، ولكن السيدة نومزن تحول بينه وبين الكلام بقسوة)

السيدة نومزن : أنا أعرف إنك كنت سعيدا معها . كنت تنال المتعة معها ، وقد كانت تلك مهمتها بطبيعة الحال . وإلا فما كان الداعى إلى الزواج ؟ الام كانت تصير حالى اليوم ياسيد شفيتر لو كنت قد تزوجت ؟ أنا أجيبك على هذا السؤال ، كانت حالى ستصير إلى بؤس لا يمكن لإنسان تصوره . أما الآن ؟ فأنا أمتلك فيللتين في الحى الانجليزى ومحلا تجاريا في وسط المدينة . لاياسيد شفيتر ، الواحدة منا يشيب شعرها في شرف وكرامة ، ولكن لا تتزوج . الواحدة منا تتمسك بمكانتها ، فإن لم تفعل انتهت إلى الفشل والضياع . والدليل على كلامى موجود الآن : لقد ماتت ابنتى . أتعرف لماذا ؟ لأن أوجله سمحت لنفسها بأن تشعر وتحس . وكنت أحذرها دائما من

ذلك . ولكن البنات يضربن بكلام الأم عرض
الحائط . أنت كأديب ، هل تسمح لنفسك فـي
مهنتك بالمشاعر والأحاسيس؟ أرأيت . لـيس
للإنسان أن تكون له مشاعر وأحاسيس ، بـل
عليه أن يختلقها ويتصنعها . إذا طلبها الزبون ! فليس
للمشاعر والأحاسيس مكان في العمل التجارى ،
الا إذا تصنعها الانسان ليقوم بالاتجار بها . وقـد
تاجرت ابنتى بها تجارة سيئة لعينة .

شفيتر : ياسيدة نومزن ..

السيدة نومزن : هذا شيء ينبغى أن يقال مرة ياسيد شفيتر .

شفيتر : ياحماتى المحترمة ..

السيدة نومزن : نادنى بـ « ياسيدة نومزن » فقط من فضلك .

شفيتر : ياسيدة نومزن ، ياسيدتى المحترمة ..

السيدة نومزن : ياسيد شفيتر ، أنا لا أتمتع بصحة قوية غنية بالعصارة
كصحتك . إنها لمعجزة أننى مازلت على قيد الحياة .
وأنا أعيش في الحقيقة من أجل فالديمار فقط . لا بد
أن أحافظ له على الشقة نظيفة وأن أسلمها اليـه
منظمة ، إذا ما عاد الآن إلى البيت ، لأن انجـه

تعمل حاليا في الولايات المتحدة الأمريكية . ثم لا يصح أن يعود الولد إلى التعلق بالأوهام . لابد أن يعرف أن عليه أن يصبح رجلا غنيا ، لا أكثر ولا أقل ، سأغرس له هذا في عقله ، سأدقه له في ذهنه . عليه أن يعيش من أرباح رأسماله ، وكفى ، فأنا أعرفه جيداً . إذا اشتغل ، طرأت له أفكار ، وانتهى إلى السجن . أولادنا لهم الحق في أن يكونوا أقل نشاطا منا ، ياسيد شفيتر . لقد كان موت أولجه درسا فظيعا لى . كنت أريد أن أرتفع بها في المهنة إلى درجات عالية جدا ، ولكنها لم تكن كفئا للمهنة ، فهربت إلى أحضانك . إلى أحضان أديب حاصل على جائزة نوبل) .

(صمت) .

شڤيتر : أنا أشكرك ، ياعزيزتى السيدة نومزن ، لصعودك إلىّ . فقد وجدت أخيراً إنسانا أستطيع أن أفهمه ويفهمنى . انني أستلطفك استلطافا هائلا . لقد كنت تبيعين لحما لقاء مال ، كنت تتاجرين تجارة شريفة . أنا أحسدك . فقد اشتغلت بالفجور أما أنا فلم أشتغل إلا بالأدب فقط . حقيقة انني بذلت

جهدا لكى أظل شريفا . فكنت أكتب ، لهـدف واحد فقط ، هو الحصول على المال . لم أبـشر بأخلاق ولم أدع إلى حكم يتخذها الناس في حياتهم كنت أخترع القصص ولا أفعل غير هذا . وكنت أشغل خيال أولئك الذين يشترون قصصى ، وأنال بذلك حق تحصيل المال ، وحصلت المال . ولى ، ياسيدة نومزن ، أن أقول الآن بشيء من الفخر : انى لم أكن فيما يختص بالربح والاخلاق أختلف عنك كثيرا .

(ينهض)

شفيتر : والآن لندخل في الموضوع . لقد ماتت الصغيرة . ولست أريد أن أبرر موقفى ولا أن أتهم نفسى ، وأنت بطبيعة الحال لا تنتظرين منى أشياء سخيفة من هذا النوع . الذنب ، الندم ، العدل ، الحرية ، تلك تعليلات ومبررات رفيعة يحتاج اليها الانسان عندما يرسى نظما أو يقوم بعمليات نهب عـلى السواء ، وأنا متنازل عنها . ان الحياة فظيعة وعمياء وفانية ، وقائمة على المصادفة . فلو أن عارضا طرأ في الوقت المناسب ، لما قابلت أولجه أبدا . وكل ما جرى فيما بيننا سوء حظ لا أكثر .

(صمت)

شڤيتر : انك تسكتين ياسيدة نومزن . فالحياة لازال لها بالنسبة لك معنى . أما أنا فلم أكن أحتمل حتى نفسى . أثناء الأكل كنت أفكر في دخول الممثلين في مشهد من مشاهد مسرحية أؤلفها ، وأنا فى الفراش مع زوجتى كنت أفكر في خروجهم مع المشهد . ولقد أدى بى اضطراب الاشياء الفظيع إلى أنى حبست نفسى في خيال قوامه العقل والمنطق وتصورت نفسى مع مخلوقات اخترعتها لأننى أستطع أن أنسجم مع المخلوقات الواقعية ، لأن الواقع ، ياسيدة نومزن ، لا يمكن لمسه على منضدة الكتابة التى أعكف عليها ، الواقع لا يظهر الا في عالمه السفلى حيث القيشان الازرق . لم تكن لحياتى قيمة تجعلها تستحق منى أن أحياها .

(صمت) .

شڤيتر : فقد جاءت الآلام ياسيدة نومزن ، جاءت الحقن ، جاء التعرف ، وجاءت المعرفة . لم يعد هناك مهرب إلى الخيال . وتخلى عنى الأدب . ولم يبق لى إلا جسمى العجوز السمين الهالك . لم يبق لى الا الرعب .

شفيتر : وتركت نفسي أسقط . فسقطت وسقطت وسقطت . لم يعد هناك شيء له وزن ، لم يعد هناك شيء له قيمة ، لم يعد هناك شيء له معنى . الموت ، ياسيدة نومزن ، هو الواقع الوحيد ، الموت هو الدائم الوحيد . ولم أعد أخشاه .

(يضطرب) .

شفيتر : ياسيدة نومزن .

(صمت) .

شفيتر : ياسيدة نومزن .

(يحملق فيها)

شفيتر : تكلمي ، ياسيدة نومزن .

(يذهب اليها وينحني فوقها)

شفيتر : ياسيدة نومـــ ...

(الفزع يتملكه . يشد الساتر فيواريها خلفه) .

شفيتر : أوجوسته ! لقد هربت . يابواب !

(يفتح ستائر الشباك ، ويفتح الشباك)

شفيتر : الشمس اللعينة . انها لا تريد أن تغرب .

(يجرى إلى الباب ويفتحه عنوة)

شفيتر : يابواب .

(يوخن يدخل) .

يوخن : حتى النسبة المئوية في ثمن بيع كتبك لا أمل فيها .

(شفيتر يتكور في السرير)

يوخن : أنا قادم من البار . وقد شرح لى كوبه الموضوع . لقد أصبحت أيها الشيخ موضة قديمة . كتبك تتعفن في المكتبات ، ومسرحياتك واراها النسيان . العالم يريد وقائع صلبة ، لا قصصا مختلفة . يريد مستندات ولا يريد أساطير . يريد تعليما ، لا تسلية . فأما أن يلتزم الأديب وأما أن يصبح زائدة لا مكان لها .

شفيتر : تعـــال .

يوخن : لقد أتيت إلى هنا لأجهر وأنا أنظر إلى جثتك ، بلعنات كافرة .

(ينظر وراء الساتر) .

يوخن : من هذه بحق الشيطان ..

شفيتر : لا تسل . الموت موت . اجلس .

(يوخن يطيع) .

شفيتر : اقترب . فأنا خائف .

يوخن : ممّ تخاف ؟

شفيتر : من أن أعيش من جديد .

يوخن : كلام فـــارغ .

شفيتر : من أن أعيش أبدا .

يوخن : ليس هناك إنسان يعيش أبدا .

شفيتر : ولكنى أبعث من الموت المرة تلو المرة .

يوخن : لاشك أنك ستتمكن من الموت .

شفيتر : لم أعد أصدق أن ذلك سيحدث . الجميع ماتوا في هـــذا الموسم اللعين : القسيس ، الرسام موهايم العظيم ، أوبلجه ، الطبيب ، والسيدة الرهيبة نومزن ، أما أنا فعلىّ أن أستمر في الحياة .

يوخن : ليس هذا صحيحا أيها الشيخ . لقد نسيتنى . أنا أيضا علىّ أن أستمر في الحياة . لم أصبح رجلا يعتمد على نفسه . وعلىّ أن أجد عددا من النساء المهجورات يحتملننى وينفقن علىّ . ياللخسارة . لم أكن أريد الكثير . كنت أريد ثروتك فقط . فالمال لا تفوح منه رائحة النتن . وقد كانت ثروتك ، المليون ونصف ، هى الشيء الشريف الوحيد فيك . وكنت

أريد أن أنالها وأعيش بها حياة أشرف من الحيـــاة
التى عشتها أنت مع سخف فنك وفكرك ، كنت
أريد أن أصبح حرا وأن أنبذ شهرتك وأبصقهـــا
بعيدا عنى ، فأفنيتنى بعدد من عيدان الكبريت .
وهكذا انتهى شفيتر وكل ما يمت إلى شـــفيتر
بصلة .

(فريدلى رائد جيش الخلاص يظهر بالباب ومعه
أفراد من جيش الخلاص . نساء ورجال يندفعون
في عدد كبير إلى داخل المرسم . أحدهم يحمـــل
نفيرا نحاسيا) .

الرائد فريدلى : أنا الرائد فريدلى من جيش الخلاص .

جيش الخلاص : هاالليلويا[1]

شفيتر : أخرج . امش .

الرائد فريدلى : (دون أن يضطرب) : مرحبا بك يامن قدست يسوع المسيح .

جيش الخلاص : هاالليلويا

---

(1) كلمة أصلها عبرى ، ترد كثيرا في الاناشيد الدينية ، ومعناها التسبيح والحمد (المترجم)

شڤيتر : لقد أخطأتم المكان . ليس هذا مكان وعظ ، هذا مكان موت .

الرائد فريدلى : (دون أن يضطرب) : تحية اليك يا من بعثت من الموت .

جيش الخلاص : هالليلويا .

الرائد فريدلى : لقـــد أوتيت بقدر إيمانك . دعيت إلى الحيـــاة الخالدة .

شڤيتر : بل دعيت إلى الموت ، الموت وحده هو الخـالد الباقي . وما الحياة إلا تقبيح وتوسيخ للطبيعة على نحو غير معهود ، واضلال فاجر لعنصر الفحم ، وتضخيم شرير لقشرة الأرض . ما الحياة إلا قشرة جرح لا يبرأ . لقد تكونت من شيء ميت وتتحلل إلى شيء ميت . مزقونى ، يانافخى أبواق السماء .

جيش الخلاص : هالليلويا

شڤيتر : هشمونى ، ياعازفي الأرغن المحمول .

جيش الخلاش : هالليلويا .

شڤيتر : حطمونى على درج السلم منشدى أنغام المزامير .

جيش الخلاص : هالليلويا .

شڤيتر : أرحمونى يا أتباع المسيح .

فريدلى : هالليلويا .

شڤيتر : أضربونى بقيثاراتكم وأبواقكم حتى أموت .

(يبدأ النفخ في النفير) .

جيش الخلاص بمصاحبة النفير النحاسى :

ياروعة صباح الأبـــد .

يانور نور ليس بالمخلوق .

أرسلى الينا في هذا الصباح .

أشعتك حتى نراها .

وبددى بقوتك .

ليلنا .

(النفير يمهـــد للمقطـــع التالى . شفيتر يعتدل في السرير) .

شڤيتر : متى أموت وأنتهى !

جيش الخلاص بمصاحبة النفير النحاسى :

آه يا مشرق الآعالى

مُـر بنا في يوم القيامة

أن يبعث جسمنا من المــــوت

وأن ينأى عن كل ألم وتعذيب
ويسير في درب الأفراح هناك
ناعما منعما .

(يدخل النفير للمقطع الأخير ، ثم يسدل الستار)

فى العدد القادم

اختيار وتقديم مارتن اسلين ترجمة صدقي عبد الله حطاب

يضم هذا الكتاب اربع مسرحيات لنفر من اعلام دراما اللامعقول او دراما الطليعة . وهذه المسرحيات هى :

أميدية او كيف التخلص منه ليوجين يونسكو ، والاستاذ تاران لآرثر أداموف ، والجلادان لفيرناند أرابال ، وقصة حديقة الحيوان لادوارد ألبى . وقد كتب مقدمة المجموعة شيخ نقاد مسرح اللامعقول مارتن ايسلن . وقد تناول فيها سمات مسرح اللا معقول وخصائصه بشكل عام وعن نهج هؤلاء الكتاب الاربعة بشكل خاص .

ازدهرت دراما اللا معقول فى منتصف الخمسينات من هذا القرن ، ولكن فلسفة اللا معقول ليست جديدة ، تلك الفلسفة القائمة على علاقة الانسان بالعالم ، هذه العلاقة التى تتميز بمعقولية مطالب الانسان ولا عقلانية العالم المحيط به ، وعلى عدم قدرة هذا الانسان على التفاهم مع هذا العالم ، فلقد جاء اليه دون أن يسعى الى ذلك . وهو يغادره كارها دون ان يطلب ذلك ، جاء اليه وهو يحسب بما أوتى من حواس ومن ارادة وعقل انه قادر ، فاذا بهذه كلها تخذله وتعجز عن ادراك الاشياء ادراكا كاملا ، فلا ترى منها الا جانبا واحداً .

كان كامى اول من شرح فلسفة اللامعقول فى كتابه « اسطورة سيزيف » عام ١٩٤٢ ، ولكن بعض النقاد يجدون شذرات من هذه الفلسفة ، وهذا الموقف من الحياة فى اعمال ادبية ترجع الى عهد الاغريق . وعلى اية حال فقد كان كتاب دراما اللامعقول هم الذين البسوا هذه الفلسفة حلتها الفنية التى نراها متمثلة فى هذه المجموعة من المسرحيات . وبترجمة هذه المسرحيات الى العربية نقدم للقارىء العربى بضع نماذج جيدة من دراما الطليعة فى الادب الغربى .

فى هذا العدد

النيزك

تأليف : دورينمات   ترجمة : مصطفى ماهر

عصرنا مزدحم صاخب عنيف عابث بجميع القيم منتهك لكل الحرمات صخب بالمنازل وضجة بالشوارع وعنف فى الجريمة واغتيال للانسان وعبث بمعنى الحياة . رياء وكذب على مستوى الافراد وعلى مستوى الامم وعلى مستوى العالم كله .

فهل نلوم الفنانين اذا نزلوا الى مستوى عصرهم وعالجوه بنفس اسلوبه واضطرهم هذا احيانا الى ان يكشفوا قناع الحياة وأن يخرجوا عن الوقار والصمت التقليديين فاستخدموا من الالفاظ ما يناسب طبيعة العصر بانه عصر صارخ بالعنف ممعن فى الرذيلة ومثير للغثيان .

لقد عهدنا دورينمات دائبا على فضح المتناقضات سواء منها ما تنضح به ظروف الحياة الحديثة او ما تغلغل فى اغوار الانسانية . عهدناه من قبل فى اعماله السابقة مكتفيا باللوم والتعنيف . ولكنه هنا فى «النيزك» يلجأ الى الصراخ . دورينمات يجد نفسه تعتمل بتجربة لا يمكن ان تؤدى الا برفع العقيرة . تجربة أقسى من ان تعالج بوسائل العرض الاليفة . لا بد من صوت يخترق الصخب المحيط ويخترق المسامع المسدودة لينفذ الى الضمائر النائمة ، باختصار لا بد من الصراخ كي يدرك الناس انهم منافقون .

يجب ان نعدل من احساساتنا بحيث لو وضع الفساد الصريح فى كفة والفساد المستتر فى كفة اخرى ترجح الكفة الاولى فى بعض الموازين على الاقل . انه يرجح بلا شك فى نظر دورينمات ، لانه برىء من الخداع والنفاق . فما رأيك ايها القارىء .